المفتاح الذهبي للحياة المشتركة / سماحة الشيخ بناهيان

(١)

اصلاح الرؤية

اهمية تقوية بناء الأسرة وإصلاحه

ما السبب في اختيار بحث الأسرة؟ وما هي أهمية أمثال هذه المواضيع؟ أما كان هناك بحث آخر مقدما على هذه البحوث في هذا المقطع الزمني؟ أوليس من الأفضل الخوض في المسائل التي يبتلي بها الشباب أو في مشاكل المجتمع الثقافية الضخمة وغيرها من الأمور؟ يعتقد كثير من الناس بأن الأحرى في هذه الأيام تناول المسائل الثقافية والعمل في سبيل تحسين قضايا المجتمع الثقافية. أمّا تجربتي التي حصلت عليها في طوال سنيِّ نشاطاتي الثقافية هي أن أكثر البرامج والخطط الثقافية في المجتمع لا تجدي نفعا.

فمثلا التخطيط لكي يصبح الانسان أو المجتمع مصلّيا أو لجعل التلاميذ أكثر أدباً أو أكثر دراسة أو وضع البرامج للحدّ من الانحراف والإجرام في المجتمع وغيرها من النشاطات لا تجدي نفعا وإن كانت جيّدة، إذ أن العمل الرئيس والأصيل هو تقوية بناء الأسرة وإصلاحه.

قبل فترة كنت في جلسة مع عدّة من مدراء الإذاعة والتلفزيون، وكان البحث يدور عن ماهية المخاطَب الأصلي للاذاعة والتلفزيون. فكانوا يعتقدون بأن المخاطب الأصلي هو الفرد والمجتمع. فقلت لهم: هذا تصور خاطئ وأبعدوه عن أذهانكم. فمخاطبكم هو الأسرة فحسب، لا الفرد ولا المجتمع. لا الفرد الذي تشاهدونه بمفرده ولا المجتمع متكون من أفراد مجتمعين. فالمجتمع يعني الأسر التي تعيش فيه. إذ الوحدة الاصيلة للمجتمع هي الأسرة. وهوية كل شخص تتشكل من أسرته. على هذا يمكن اعتبار وضع البرامج والتخطيط لتحسين بناء الأسرة وتقويته، أهمّ عمل لرفع مستوى المجتمع ثقافيا.

من الممكن إثبات هذا المدعى في محله وهو: أن العمل في سبيل توسعة الدين وردع الاستكبار العالمي و الوقوف أمام الغزو الثقافي وعلى رأس كل هذه الأمور، تحقق ظهور الإمام الحجة (عج) لا يتمّ إلا بإصلاح الأسر في المجتمع أولا. فما لم يكن للمتدينين أسر جيدة ستتفشى حالة التظاهر بالتديّن، وما لم تكن العوائل الشيعية بحياتها البسيطة هي القدوة للباقين، سوف لا تتحقق الارضية لفرج الإمام الحجة (عج).

الملاحظة المهمة الأخرى هي إن أهم آلية صهيونية للسيطرة على المجتمعات الإسلامية وتحطيم قدرة الإسلام، هي القضاء على بنيان الأسرة المرصوص. بحثنا في الأسرة ليس بحثا دفاعيا. فنحن نعدّ هذا العمل الصهيوني ناجما عن مطالعات دقيقة وبسبب إدراكهم لقوة الأسر الشيعية. هذه القوة التي لربّما لم ندرك نحن أيضا عمقها الواقعي لحدّ الآن. إنّ تكليفنا اليوم تجاه إمام العصر والزمان (عج) هو تقوية الأسرة والاستعانة بهذه القوة لنشر تعاليم الإسلام إلى كل العالم. حتى لا يطول ليل الانتظار من دون أن يصبح صباحه.

(٢)

اصلاح الرؤية

لابد للأسرة أن تكون متعالية

❖إن أول خطوة لمعرفة الأخلاق والحقوق المتبادلة بين الزوج والزوجة في رحاب الأسرة هو تشخيص الهدف من هذه المعرفة. فما سبب أهمية الوصول إلى هذه الإحاطة؟ فهل نطمح في أسرة بعيدة عن المشاكل و المتاعب وبعيدة عن الظلم أيضا؟ أو بالتعبير المعاصر هل نريد أسرة ناجحة؟ أم إننا نصبو إلى أكثر من ذلك ونريد أسرة متعالية وسامية. فمن الطبيعي أن يفكر الجميع بأهمية القدرة على تكوين أسرة ناجحة، بيد أن رؤية الناس عن معالم الأسرة الناجحة هي: الأسرة الخالية من الخصام والنزاع ومن الظلم، والأسرة التي يمكن للزوجين في ظلّها أن يتحمّلا البعض ويحصلان على لذة العيش فيها ويمكنهما أداء أعمالهما و واجباتهما الأخرى فيها بهدوء وسكينة. ولكن هذا التعريف عن الأسرة الناجحة، ناظر إلى الحدّ الأدنى من معالم الأسرة الناجحة. وإلا فنحن نسعى وراء تحقق أسرة راقية. وليس البحث في الألفاظ. إن معايير الأسرة الراقية تختلف عن معايير الأسرة الناجحة. فلابد من إصلاح رؤية المجتمع عن الأسرة.

التعريف الصحيح للأسرة: الأسرة هي أرضية للتكامل

❖لابد من تعريف الأسرة أولا لكي نحصل على رؤية كاملة لأخلاق الأسرة وحقوقها؛ ولابد من تعريف كامل للحياة المشتركة بين الشاب والفتاة اللذين يتحولان شيئا فشيئا إلى أب وأمّ.

❖فما هو تعريف الأسرة التي تتكون نواتها المركزية من زوجين شابّين؟ وماذا نفهم منها؟ لابد من السعي الدائم للنظر إلى الأبعاد المختلفة لهذه الظاهرة لنصل إلى التعريف الدقيق لها.

❖بظني ان تعريف الحياة المشتركة بين زوجين يعيشان معا، ويريد كلّ منهما أن يوصل صاحبه إلى الكمال هو:

إن الأسرة: هي أرضية للرشد و التكامل. أما كيفية الوصول إلى هذا المستوى، فهذا ما لا يرتبط بنا كثيرا. فنحن في مقام اختيار الزوج علينا الاهتمام كثيرا، أما على من ستقع قسمتنا وبأي طريق نصل إلى التكامل وماذا سيؤول إليه الامر أخيرا و...، فهذه من الأمور التي لا ترتبط بنا كثيرا.

❖فقد يصل الزوج إلى التكامل بسوء خلق زوجته. فيجب ان نرفع بمستوى رؤيتنا تجاه هذه المسألة عن رؤية العوام، وهذا ما سنتطرق إليه في الأبحاث اللاحقة. كما لابد من الإضافة إلى أن السير للوصول إلى نقطة التعادل والتوافق وكذلك السير للوصول إلى نقطة بداية التعالي، قد يدوم سنين طويلة. فليست هي مقتصرة على لذة الفترة الأولى من الزواج، فقد تطول مدة الوصول إلى هذه النقطة عشر سنوات.

(٣)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد العرفاني

(لايمكننا الكلام عن العلاقة الزوجية بشفافية ووضوح)

◈أود أولا وقبل الدخول في الكلام عن العلاقات بين الرجل والمرأة؛ سواء أكانت في إطار الزواج أم في إطار اختيار الزوج أم في إطار أي علاقة يمكن تصورها مثل العلاقة بين الأب وابنته وبين الأخ وأخته أو العلاقة بين الأم و ابنها وباقي العلاقات التي يمكن أن تحصل بين باقي المحارم وكذلك في إطار العلاقات الاجتماعية بين الرجل و المرأة.... أود استرعاء انتباهكم إلى موضوع مهم؛ إلى موضوع منسي ومغفول عنه بطبيعة الحال.

◈ليس بإمكاني أن أخوض في هذا الموضوع وأتحدث فيه كما أتحدث في غيره من المواضيع، بيد أني أحب أن أجلب انتباهكم لتنظروا من هذه الزاوية إلى موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة.

◈ نحن نأمل ونرجو الله تعالى أن يأتي اليوم الذي تتعامل فيه مجتمعاتنا الإسلامية باستيعاب أكثر مما هي عليه الآن مع موضوع الزواج والعلاقات بين الرجل والمرأة. فعندها يتسنّى لنا الكلام عن هذا الموضوع بشفافيّة ووضوح أكثر.

◈ليس السبب في عدم إمكان الكلام بشفافية بشأن العلاقات بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، هو المسائل الدينية والأحكام الشرعية والحرمات الموجودة في البين. فقد يُتصور بأن الدين هو الذي يقف حجر عثرة أمام الكلام الصريح عن هذا الموضوع؛ أو أنّ عادات مجتمعنا وتقاليده التي تتعامل مع هذا الموضوع بنوع من الحياء والعفاف هي التي تمنعنا من ذلك. بيد أنه لا الدين ولا عادات المجتمع وتقاليده ليست هي المانع أمام هذا البحث الذي نرغب في تقديمه لكم الآن كتقرير ودراسة عن المعارف الدينية بشأن العلاقات بين الرجل والمرأة، ونشعر بعدم إمكان الخوض فيه بشكل شفاف لا غبار عليه. بل إن كثيرا من الموانع قد أتتنا من الثقافة الغربية التي تغلغلت في أوساطنا وما زالت بعض وسائلنا الإعلامية تسوّق لها. ولا يلتفت إلى أن هذه الثقافة كم لها من دور سلبي في التعتيم على الكثير من الحقائق المرتبطة بالعلاقة بين الرجل والمرأة.

◈إن الثقافة الغربية المعاصرة قد ألجمت الألسن وصمّت الفكر وأعمت البصر. فلا نعد نرى كثيرا من الألطاف الإلهية التي أودعها الله في هذه العلاقات. فقد عكّروا الأجواء إلى حدّ لم نعد ننظر لهذه العلاقة المتبادلة بين المرأة والرجل إلا بنظرة سيئة لا يمكن التقرّب منها.

◈تعتبر هذه العلاقة في الثقافة الإسلامية علاقة رفيعة الجانب ووديعة وفي نفس الوقت تحمل كثيرا من القدسية والروحانية. بيد أن الغرب عملوا على أن نتعامل معها كأمر غير محترم. عملوا على كمّ أفواهنا عن الكلام عن هذا الموضوع.

لماذا حصل هذا الأمر؟ السبب هو عدم النظر إلى مسألة العلاقة بين المرأة و الرجل من هذه الزاوية التي نود تقديمها لكم في هذه المقدمة. فنحن لا نريد هنا إلا بيان هذه الزاوية ونترك البحث.

(٤)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد العرفاني

(العلاقة بين المرأة والرجل علاقة معنوية وعرفانية)

◈لو نظرنا إلى العلاقة بين الرجل والمرأة بنظرة عرفانية لألفيناها علاقة رقيقة جدّا وتحمل بين طيّاتها كلاما كثيرا، وقد تناول العرفاء في الأدب القديم جزء كبيرا منه، بيد أنهم لم يتناولوا كلّ جوانبه. فجمال المرأة بالأدب العرفاني بالنسبة للرجل يدفعه دائما إلى ذكر الله تعالى وقد أحسنوا في ذلك. فما نرى في الاستعارات العرفانية من استخدام بعض التشبيهات كزلف الحبيب أو أهدابه أو عينيه الناعسة أو خال خدّه أو دلاله وغنجه و... فهذه كلها لها معانٍ عرفانية، لا أنهم مجبرون على ملئ أدبهم بأمثال هذه الكلمات. فهي إذن علاقة ثنائية الأطراف. فلو حسنت علاقة الإنسان بربّه ستضفي هذه العلاقة على علاقته بالجنس الآخر صبغة إلهيّة وسينظر إليها بنظرة إلهيّة أيضا، فهذه العلاقة مما تساعد المرء على تعزيز علاقته بربّه لو نظر إليها بنظرة جيدة.

◈لا بأس أن نصعّد من مستوى صراحة الكلام ومصداقيته ولا نسترسل في الحديث بغموض. ففي دلال المرأة ورقّتها تتجلّى بعض أسماء الله الجماليّة. كما وتتجلى في المقابل بعض الصفات الجلالية في قدرة الرجل وصلابته وبعض صفاته الآخرى. وبعبارة أخرى باستطاعة المرأة والرجل أن يكونا آية من آيات الله تعالى. وتصبح علاقتهما وسيلة لرقيّهما وتكاملهما.

◈أما الكلام عن أقسام وأنواع العلاقات بين المرأة والرجل في العرفان فكثير جدّا، سواء أكان عن العلاقات في المجتمع أو بين المحارم ومن ضمنها علاقة المرأة والرجل داخل البيت الواحد التي هي حصيلة الزواج، بيد أنه لم يُتناول وللأسف البحث عن هذا الموضوع بشكل كامل.

◈لماذا قال النبي الأكرم (ص): إني أحب النساء؟ فلو تكلم شاب اليوم بهذا الكلام - وبالطبع بالمعنى العرفاني للكلمة- سيتّهم بشيء آخر. وهذا ممّا يدلّ على أن مجتمعاتنا لم تنظر إلى البعد العرفاني لهذه العلاقة. نأمل من الله أن يأتي زمان تستطيع به مجتمعاتنا أن تتخلى عن كثير من التحرّجات السخيفة، ويمكنها الكلام عندئذ عن هذه العلاقة بحرّية.

◈فلم يفعل الله سبحانه وتعالى في هذا الكون لهذا الإنسان فعلا، ولم يخلق شيئا إلا وله صلة بقرب الإنسان بربه سبحانه وتعالى. فجعل الله كل شيء وسيلة للتقرب إليه بشرط أن ننظر إليه بنظرة التقرب.

(٥)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

الزواج آية إلهية

(علاقة الزواج بهدف الخلقة)

◈لم يخفَ عنّا نوعا ما الهدفُ الرئيس من خلق الله سبحانه للعالم و الإنسان. إذ نعلم بأنّ الله تعالى خلق كل هذا الكون من أجلنا و خلقنا من أجله. طبعا ليس المقصود "خلقنا من أجله" هو أنه ينتفع بخلقنا، بل معنى ذلك هو أن ننتفع به نحن و نبتهج بعلاقتنا معه. إن فلسفة عيشنا فترة من الزمن في هذا العالم ثم ذهابنا إلى عالم آخر، هي أن نتلقّى في هذا العالم استيعابية و قابلية لازمة تمكّننا من أن نحصل بها على اللذة الكاملة من القرب الإلهي، و نفهم حينئذ أنه عزّ وجلّ ألذّ لذات العالم، لكن لا كاللذات المادّية التي نحصل عليها تارة من الأشربة و تارة من النظر أو قد نحصل عليها من الشمّ أو الأكل.

◈فالهدف من خلقنا هو السير في هذا العالم لنصل بعدها إلى لقاء الله جلّ وعلا. فلابد أن نحصل على الاستيعابية اللازمة لذلك حتى نحصل من هذا اللقاء على اللذة الكاملة. اللذة التي هي أصل كل نعمة للإنسان و تبقى خالدة إلى الأبد. أي أنها تبقى مليارات و مليارات السنين. فكلما نظرنا إلى الله سبحانه بقلوبنا، ألفينا هذه النظرة أجد من سابقاتها. و الجنة و الرضوان الإلهي و باقي النعم الإلهية هي كلّها مثل الفندق الذي يحل به الزوار في مشهد مثلا أو أيّ غيرها من المدن المقدّسة. فالزائر يحتاج إلى محلّ للسكن كما يحتاج إلى الأطعمة و الأشربة و ما شابه ذلك، بيد أن الهدف الأصلي لهذا المسافر هو الزيارة؛ و نسبة جمال الفندق من غيره لا يهمّ كثيرا لأنه ليس من الأمور المصيرية. فالله سبحانه قد خلقنا لنحصل على اللذة الكاملة بلقائه. قد يطرأ هذا التساؤل في أذهاننا، و هو هل في لقاء الله لذة؟

◈قد تجيب أذهاننا في الوهلة الأولى بأن النعم الإلهية هي التي نلتذ بها. ولكن لابد من القول هنا بأن الله سبحانه الخالق لأجمل لذة في العالم و أحلاها. ألا يكون هو أجمل و أحلى من غيره؟! فلا محاص من القبول بأن الله الذي خلق أجمل الورود في العالم لابد أن يكون أجمل من كل الورود. و الله الخالق لأرقى عطور العالم لابد أن يكون أكثرها رقيا و عطرا. و الله الخالق لأروع قمة في العالم لابد أن يكون أعظم و أروع من كل عظيم و رائع.

◈لنضرب مثالا آخرا نقرّب به المعنى: فالله الذي أودع في العلاقة بين المرأة و الرجل نوعا من الهيجان و نوعا من العاطفة و الأحاسيس و نوعا من السكينة و اللذة، كيف لا يكون اللقاء به أكثر هيجانا و أكثر إثارة للعواطف و الأحاسيس؟ و كيف لا نحصل من هذا اللقاء على أسمى سكينة و لذة؟ فأصل كلّ هذه المعاني و التصورات و مصداقها الكامل و التام هو الله سبحانه. و أصل كلّ عالم الوجود، هو الله سبحانه. فنحن عندما نشرب الماء في لهوة العطش في حرّ الصيف و نشعر بلذة الماء و طراوته، لنعلم أن طراوة الله لايمكن قياسها بالماء العذب البارد في الصيف الحار.

◈وأساسا الهدف من خلق الإنسان هو أنه لم يكن بوسع الملائكة الحصول على اللذة من القرب الإلهي كالانسان. لأنها لاتستطيع أن تتّجه إلى الله تعالى بحرية كالانسان. و لايمكنها إنتاج القيمة المضافة مثله.

تلك القيمة التي تمنحه سعة وجودية لايسعه الحصول على اللذة اللامتناهية من القرب الإلهي بدونها. بل ولايمكنه بدونها حتى لقاء الله. كمن كان مع موسى بن عمران (عليه السلام) و قالوا له (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأجابهم موسى لاطاقة لكم على ذلك -أي لا تملكون السعة الوجودية اللازمة- فعندما أصروا على ذلك و ادّعوا إمكان الرؤية، تجلى الله للجبل فجعله دكّا. (فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّا...) فماتوا جميعهم؛ ثم احتيوا بدعاء موسى (ع).

(٦)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

الزواج آية إلهية

(أولاً كل أجزاء العالم يمكن وصفها على أساس هدف الخلقة)

◈لابد من التوسع في مقدمة هذا البحث على نحوين. أولا إن جميع أجزاء العالم الذي خلق من أجلنا لا يمكن وصفها إلا من خلال هذا الهدف. فخصائص مرحلة الشباب وخصائص العلاقة بين المرأة و الرجل وخصائص الزواج ومحصلات الإنجاب وخصائص مرحلة الهرم و ... كلها مصمّمة لتحقيق هذا الهدف.

◈قد يتصوّر البعض بأن الله خلقنا أولا ثم بدأ يفكر ماذا يفعل بنا ثم قال في نفسه لابد أن يتزاوجوا فيما بينهم؛ فلاحيلة غير هذا! فقال لهم اذهبوا و تزاوجوا فيما بينكم ثم تعالوا بعدها لأنظر ماذا أفعل بكم!!! كلا، فالزواج أيضا قد صممه الله و نظّمه على أساس الهدف من خلقنا. ولكل أجزاء العالم ارتباط وثيق بهذا الهدف.

◈لماذا نحمل نحن البشر العاطفة و الأحاسيس؟ و لماذا نختلف عن باقي الموجودات؟ و لماذا ننجب الأولاد؟ و لماذا تتبدل كثير من أحاسيسنا و عواطفنا عند الكبر؟ ولماذا نفهم بعض الحقائق بالتدريج؟ كل هذه الأمور المطروحة في هذه التساؤلات و غيرها فقد أوجدها الله سبحانه على أساس الهدف من الخلقة.

◈تذكروا هذه الآية (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ في‏ ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون) ما معنى آيات الله؟ آيات الله تعني الدليل على معرفة الله سبحانه. فأراد الله أن يقول بهذه الآية: أريد أن أريكم نفسي بالزواج و بالعلاقة الزوجية بين المرأة و الرجل. طبعا بإمكانكم أن تنظروا إلى الزواج من زاوية عوجاء ليكون الزواج أبعد شيء عن الله. و ولكنكم إذا نظرتم إلى الزواج من زاوية واقعية عندئذ ترون الزواج أيضا انعكاسا لوجوده جل وعلا.

◈فعندما يقول أمير المؤمنين : "ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله وبعده" يقصد هذا الأمر لا غير. فهذه كلها آية من آياته. حتى الزواج يعدّ بهذه النظرة مرحلة من مراحل دين الله سبحانه، و مرحلة من مراحل الحصول على الاستيعابية و السعة الوجودية للوصول إلى لقاء الله. فلابد أن ننظر إلى الزواج بهذه النظرة العرفانية الجميلة حتى يسعنا رؤية حقيقته.

(٧)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

الزواج آية إلهية

(ثانيا الزواج نعمة إلهية وحدث بسيط غير معقد)

◈النحو الثاني من التوسع الذي نريد الوصول عن طريقه من المقدمة إلى البحث (الحياة المشتركة و الزواج) هو أن الدنيا مليئة بالنعم الوافرة الكثيرة. و نحن لايسعنا إلا توطيد العلاقة فيما بيننا و بين هذه النعم. و سنصل في أثناء البحث إلى الكلام عن ماهية هذه العلاقة الجميلة، لكن المهم الآن أن علاقتنا مع النعم الإلهية يجب أن تكون بنحو لا تزاحم روحنا، بل تكون مؤثرة في حصولنا على الاستيعابية اللازمة للقاء الله سبحانه.

◈نحن و في مسير الحصول على الاستيعابية اللازمة للقاء الله ستصل إلينا بعض اللذائذ و النعم التي لابد أن ننالها و نتقبلها بكل وجودنا. و بطبيعة الحال لابد أن نواجه بعض المشاكل و المعاناة، وهذه أيضا لابد أن نتقبلها بكل وجودنا حتى تتحقق عملية الحصول على الاستيعابية بشكل جيد.

◈لذلك فلو اعتبرنا الزواج أحد النعم و اللذائذ الإلهية، لابد أن نتساءل عن كيفية التمتّع بهذه اللذائذ؟ لابدّ أن نتمتع بها بنحو لا تزاحم وجودنا؛ لا أن ننظر إليها كمغنم كبير بحيث تأخذ مأخذا من وجودنا وحياتنا. كلا، إن الزواج حدث بسيط جدا. كل الحيوانات والبهائم يتزاوجون فيما بينهم، إنه ليس بحدث معقد.

(٨)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

الزواج آية إلهية

النظرة الصحيحة للزواج وتجنب الأوهام (١)

◈لاتهوّلوا أمر الزواج في أعينكم بالأوهام. فقد يتصور البعض بأن الزواج لابد أن يتبعه أمر مهم، لكننا لانجد لهذا الأمر من أثر؛ فليلة الزواج ليلة عادية جداً. ولايحصل فيها أي أمر مهم إلا هذه #المحبة التي تعمر قلب #الزوجين. قال لي عريس يوما: إن حفلة عقدي بعد أيام، ولكن لدي مشكلة واحدة؛ و هي أنني لا أشعر بأي شعور خاص. فقلت له: أتحب زوجتك؟ قال: نعم. قلت له: فماذا تريد أكثر من هذا؟ ثم سألته عدة أسئلة فرأيته رجلا معقولا و عاديا جدا. فقلت له: أنت إنسان متعادل جدا؛ فما هي مشكلتك؟ فقال: مشكلتي هي أنني لا أشعر بشعور خاص و لا أحس باضطراب خاص. فقلت له: أتعلم من المتعادل؟ هو أنت و من يحمل فكرك، و غير المتعادل من يرى في الزواج أمرا مهما، فهؤلاء إما يشكون من نقص عاطفي أو من عقد نفسية. فلا تفكر كثيرا بأنه سيحصل أمرا ما. أما يوم العقد فاعتبره يوما جميلا من أيام الله الجميلة باختلاف يسير.

◈لا ينبغي أن نتوقع من الزواج توقّعات خاصة، فلربما لم نصل إليها أبدا. والذي ينظر إلى الزواج بهذه الرؤية سوف لا يرى في أي زوج من يشفي غليله. فقد ترفض البنت حتى مثل يوسف (عليه السلام) لأنه ليس فتى أحلامها، ولا ينطبق على ما صاغته في خيالها.

و الشاب في المقابل إن كان مما يطلق عنان فكره و خياله، سوف يرفض كل بنت مقترحة حتى لو كانت بنت الملوك و حتى لو كانت بجمال سندرلا، ويقول إنها ليست بضالّتي. و نتيجة أمثال هذه الأوهام هي التنفر من الطرف المقابل و الحقد عليه بلاشك.

نحن لا نريد من لذة الزواج إلا تأهيل أرواحنا و إصلاحها لتتمكن من التقرب إلى الله تعالى. أما لو أطلقنا لأنفسنا العنان في مخيلاتها و أوهامها عن لذة الزواج و سكينته لا نصل إلى أية نتيجة؛ أو حتى إذا حصلنا على نتيجة ما، نزعم أنّا لم نصل إلى شيء ما يؤدي إلى الشعور بالخيبة والكآبة.

◈ليس المراد من كلامي غض الطرف عن هذه النعمة الإلهية العظمى و المرّ عليها مرور الكرام؛ فليس هذا مرادي من ضرورة عدّ الزواج أمرا سهلا. بل قصدي هو أن نعتبر الزواج نعمة كبيرة يجب أن نتعاطى معها بشكل جميل لكي تشكّل لنا معبرا ننتهي به إلى مقصدنا السامي.

ترجع ابتداءً مسألة الزواج إلى نظرتنا للهدف منه؛ و إلى فاعليته في الحياة البشرية. و بعد إصلاح رؤيتنا عن الزواج يتحتم علينا الاهتمام بماهية الزواج و في المرحلة الثالثة بالآداب، التي يجب مراعاتها في الزواج. أما لو لم نعلم ما أثر الزواج علينا و ما هدف الله من جعل الزواج سنة الحياة و آية من آياته الكبرى، سنقع في مشكلة عدم التعاطي معه بشكل جيد.

(٩)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

الزواج آية إلهية

النظرة الصحيحة للزواج وتجنب الأوهام (٢)

◈طبعا لابد من القول بأن فهم الزواج بشكل دقيق و معرفة الهدف منه ليس بالأمر الهيّن. فحتى أهل السير و السلوك ليس بوسعهم درك الهدف من العلاقة فيما بينهم و بين الله سبحانه، فضلا عن أن نتوقع من باقي الناس أن يدركوا الهدف الصحيح من العلاقة بين المرأة و الرجل.

◈فلو لم نشخص الهدف من الزواج لا نعلم ما سيؤول بنا الأمر بعده؟ فهل سألنا أنفسنا أو أحدا عن الهدف من الزواج؟ فلعل أفضل جواب له هو أننا نهدف إلى الراحة النفسية عبر الزواج. طيب، لكن حري بنا أن نتبع هذا الجواب بسؤال آخر، وهو أن: ماذا سنفعل بالراحة النفسية التي حصلنا عليها؟ ألا نريد منها أن توصلنا إلى غاية ما؟ و هل أن درجات التكامل تنتهي بالراحة النفسية؟ وقد يجاب على هذا السؤال بأننا بحاجة إلى الراحة لغرض المزيد من الحيويّة والنشاط. طيب؛ و ماذا بعد الحركة و ما هي نهايتها؟ فهل تريد أن تكون عاملا فنّيا؟ هل تريد من الزواج أن تكون طالبا مثابرا؟ ثم ماذا بعد الدراسة؟ علينا وضع هذه التساؤلات و أمثالها نصب أعيننا دائما، و مع الأسف، نجد كثيرا من الناس لا يتعدى تفكيرهم قضيّة المسكن و الملبس و المأكل. فإذا سألته ما يهمك؟ يجيبك على الفور؛ ليس عندي بيت. طيب؛ و ماذا تريد من البيت؟ يجيب: لأنعم فيه بالراحة. و ماذا تريد من الراحة؟ فقد يرجع إلى نفسه إذ يواجه هذا السؤال لأول مرة في حياته.

◈و لو كان الهدف النهائي هو الراحة، ماذا لو أعطانا الله إياها بمعزل عن البيت، هل يكفي ذلك؟ سيكون الجواب لا، لأني أريد بيتا. لماذا؟ لأني لاأريد أن أبقى مستأجرا. و ماذا لو أعطانا بيتا لا نشعر فيه بالراحة؟

◈يبقى بعض الكبار كالأطفال الذي يتحججون على آبائهم و يلحّون عليهم في شراء لعبة معينة، و عندما يسأله الأب عن السبب، يجيب لألعب بها. فإذا أراد الأب أن يشتري له لعبة أجمل و أكثر متانة من التي طلبها و بإمكانها أن تسليه أكثر، يصر الطفل على اللعبة التي يريدها هو. فإذا سأله الأب عن السبب، يسكت و لايجد جوابا إذ لايسعه القول: لأني وجدتها في يد جارنا.

◈صدقوني بأن طلبات كثير من الناس - حتى من قرّب على التسعين - هي عين طلبات الأطفال الصغار. بل حتى نظرتهم للزواج لا تتعدي هذا المنطق. يجب أن نعرف السبب الذي يفرض علينا السعي وراء الزواج. نحن ابتداء يتحتم علينا معرفة الهدف من خلقنا ثم الهدف من حياتنا ثم الهدف من الزواج.

◈لعل أهم علل إطلاق عنان التخيلات و الأوهام عند الشباب قبل الزواج، هو بعض الأفلام و المسلسلات التي يتم إنتاجها في بلادنا. فنجد المخرجين و كتّاب الفيلم و المسلسل يصرّون على إنهائها بالزواج كيفما اتفق. فهم يريدون إعطاء الأهمية للزواج أمام الشاب. و النتيجة، نجد الشباب قد رسموا الزواج في أذهانهم محاطا بهالة من الأوهام و المخيلات وكل ذلك قبل أوانه. فمن الصعوبة بمكان التحدث إلى هؤلاء عن الزواج. إذ كلما زودناهم بمعلومات قيمة عن الزواج لايتقبلها لأن أوهامه هي الحاكمة و هي التي تسيّره. زوجوا أولادكم بسرعة، لا تسمحوا بارتفاع سنّ الزواج، و في نفس الوقت لاتتكلموا عن الزواج أمام الشباب قبل أوانه، فهذا مما يساعد على إثارة حس الأوهام و التخيلات عندهم أكثر.

(١٠)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

الزواج آية إلهية

النظرة الصحيحة للزواج وتجنب الأوهام (٣)

◈قال لي أحد الأصدقاء يوما: "كلما أردت زيارة زوجتي أيام العقد يمنعني والدها بذرائع مختلفة. و كان يقول: في البيت أولاد صغار غير متزوجين، فلا أسمح لك الخلوة مع ابنتي أمامهم." قال لي: "طلبت مني أمها يوما أن أجلب لهم نفطا، فذهبت لشراء النفط ووقفت حتى الغروب في صف شراء النفط، لكن ما إن فتحت الباب فوجئت بأبيها خلف الباب فما أن رآني قال لي: ضع النفط جانبا و انصرف! ..."

◈أتعلمون ما السبب الذي دعى آباءنا لعدم السماح للصهر أن يدخل البيت أيام العقد؟ بسبب وجود أولاد صغار لم يحن سن زواجهم ولا يريدون إثارتهم قبل الأوان.

﴿أخاطب اليوم هؤلاء الآباء وأقول لهم: كيف تسمحون لأولادكم أن يجلسوا أمام التلفاز يوميا لينظروا إلى بعض الأفلام و المسلسلات التي تعرض كثيرا من مشاهد الجلسات المثيرة بين الخطيبين؟

﴿على كل حال، هذا هو وضع أفلامنا و مسلسلاتنا، فحتى التي أعدت لشهر رمضان المبارك نجدها لاتخلو من هذه الآفات. قلت يوما لبعض المخرجين: لأي طبقة من المجتمع صنعتم هذا المسلسل؟و من هم مخاطبوه؟ فقال: أبناء الثلاثين والأربعين.-فرسالة هذا المسلسل كانت في السعي وراء لقمة الحلال- قلت له: فلماذا سلطتم أضواءه و جاذبيته على شاب و شابة يحب أحدهم الآخر و يريد الزواج منه؟ فإذا كان مخاطبه أبناء الثلاثين و الأربعين، لماذا وجهتم جاذبيته لبنات سن السادسة عشر؟ لماذا لم تنضّموا جاذبيته لتستهوي أبناء الثلاثين و الأربعين؟ ثم، بعد ذلك تعطون الإحصائيات و الأرقام بأن هذا المسلسل جلب أكثر عدد من المخاطبين و استطاع استهواءهم**!!**

﴿لقد اختلط مفهوم الزواج اليوم - و مع الأسف - بمفاهيم سطحية في المجتمع مما يجعل الكلام عن مفاهيم الزواج السامية صعب جدّا في هذا الجو بل قد لايمكن طرحها لاسيما فيما يتعلق بالرؤية العرفانية له.

﴿نعود للآية المباركة (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون) التي تبين بأن العلاقة بين المرأة و الرجل إحدى آيات الله سبحانه، إذ يقول الله في هذه الآية لقد أنزلت لكم آية و هي هذه العلاقة التي أوجدتها بين المرأة و الرجل.

(١١)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد العاطفي

(الحب بين المرأة والرجل من أنواع الحب الذي يمكن إظهاره)

﴿لقد أودع الله سبحانه بين المرأة والرجل جاذبية أشار إليها في القرآن الكريم بقوله «وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَ رَحْمَةً». والمودّة هي نوع خاص من الرحمة.

﴿الفرق بين المحبة والمودة: أ تعلمون ما الفرق بين المودة والمحبة؟ المودة هي ما تظهر على اللسان أما المحبة فتنتقل عبر العين وحسب. إن الله سبحانه قد فرض علينا مودة اهل البيت (عليهم السلام)، وهذا يعني وجوب إظهار محبتنا لهم. فلو رأينا الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لابدّ أن نقول له «روحي لك الفداء»، لا أن نكتفي بمحبّة العين والقلب. صحيح أن قلوبنا تنبض بمحبته (ع) بيد أنه يلزم إظهار هذه المحبة وجريانها على الألسن. ألم تسألوا أنفسكم لماذا نحن نبكي على الإمام الحسين ونصرخ بأعلى أصواتنا ونلطم على رؤوسنا وصدورنا؟ أ وليست هذه من مصاديق إظهار المحبة؟ أ وليست هذه من المودة؟

﴿لقد جعل الله بين المرأة والرجل مودة ورحمة. ولهذه العبارة معنيان: أحدهما توصيفي والآخر تكليفي. فالمعنى التوصيفي؛ هو لو حصلت بين المرأة والرجل محبة فلا بد وأن تظهر في يوم من الأيام، لأن نمطها من النوع الظاهر. أما المعنى الآخر فهو إذا حصلت بين المرأة والرجل علاقة عاطفية فلابدّ من

إظهارها للطرف الآخر والتعبير عنها. لقد ورد في رواياتنا أنه لابدّ للزوجين أن يتبادلا بينهما الحبّ والمودّة، ينبغي أن يصرّحا بهذا الحبّ مع بعض لا أن تكون العلاقة بينهما باردة كالثّلج.

◈ هل سمعتم برسالة الإمام الخيمني (ره) لزوجته أيام سفره إلى لبنان؟ فقد أرسل لها رسالة من هناك تفوح بروائح المحبّة و المودّة وتمتلئ بتعابير الودّ والشوق واللهفة. إن هذه الأمور من وصايا ديننا الحنيف المؤكّدة. فلا بد أن تبقى العلاقة بين الزوجين متوقدة دون أن يطرأ عليها البرود والفتور. ولا بد من إظهار هذه المحبة والإسفار عنها.

◈أشير هنا إلى موضوع بالمناسبة ثم أتناول الخطأ الشائع في مجال البعد العاطفي بين المرأة والرجل. أما الموضوع الأول فهو، عندما تقع محبة شخص في قلب شخص ثان ولايمكنه الوقوف أمامها أو لايمكنه إخراجها من قلبه، فلو كانت هذه المحبة للجنس المخالف فما لم يبدها لأحد ومالم يقم بتعزيزها ومالم تجرّه إلى المعصية، لايمكن عدّها شيئا سيئا. ولا يمكن لأي أحد أن يؤاخذه عليها.

فقد ورد في الروايات ما معناه: لو أن شخصا أحبّ شخصا آخر وامتنع عن إظهار هذا الحب بأسلوب غير لائق ولم يوقعه هذا الحبّ في محرّم، يغفر له أو يحشر يوم القيامة بمقام الشهداء. فإنه سوف ينال مثل هذا المقام عند الله.

(١٢)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد العاطفي

(هل تتسع العلاقة بين المرأة والرجل للعشق والغرام؟)

◈أما الخطأ الذي يحصل في البعد العاطفي فهو: الخلط بين المحبة و العلاقة بين الزوجين و التي هي جنس محبةٍ يمكن إظهارها و الإسفار عنها كما لابدّ من إظهارها، وبين مفهوم آخر باسم «العشق» فهل تعلمون ما العشق؟ هو عاطفة تسخّر قلب الإنسان بكامله. لقد أصبحت اليوم العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل، تعتبر المصداق الكامل والأتم لهذا المفهوم ما أدّى هذا الخطأ وهذا الخلط إلى إيجاد نفور شديد وكثير من الاضطرابات والأزمات في علاقة الزوجين معا.

◈لا يمكن أن تحصل هذه المحبة العالية (العشق) بين إنسانين عاديين. فلماذا نزعج أو نخدع أنفسنا؟ فلا يمكن لأي علاقة بين الرجل والمرأة حتى في أحسن حالاتها العاطفية أن تصل إلى أعلى هيجان المحبّة. فهذا ما لا يمكن على الإطلاق. فلا يمكن لهذه الكميّة الواسعة من المحبة، أي العشق أن نضعها موضع العلاقة بين الزوجين. نعم، يمكن أن نتصور علاقة بينهما مملوءة بالمحبة الشديدة بحيث تجعل أحدهما مستعدّا لأن يفدي نفسه للآخر، لكنه يبقى حبا وليس عشقا. لأن العشق شيء آخر. فالعشق الذي يقول:

وتلافي إن كان فيه ائتلافي / بك عجّل به جعلت فداكا

◈لا يمكن أن يقع العشق بين إنسانين، ولايمكن أن يتحقق بين المرأة والرجل. نعم قد نسمع في بعض القصص والروايات أو في بعض الأفلام ما يشبه ذلك كما في فيلم «تيتانيك» بأن تحصل ظروف خاصّة يفدي فيها المرء نفسه لشخص آخر، لكنها غير مقتصرة على العلاقات الزوجية؛ فالشرطيّ أيضا قد

يفدي نفسه في سبيل نجاة طفل من الحريق أو من أي خطر آخر. بيد أن هذا الفداء لا يحتاج إلى علاقة عشق و محبة. إن الخلط بين العلاقة العاطفية بين الزوجين و بين العشق وما يؤديه من تبعات، فهو مخطط صهيوني فرض على ثقافتنا وعلى الثقافة المسيحية أيضا. فقد أوجدوا هذه الموجة للخلط بين مفهوم العشق ومفهوم العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل وقد جعلوا هذا العشق بطبيعة الحال مقصورا ومتجليا في العلاقة الجنسيّة لا غير.

(١٣)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد العاطفي

(آفات عد العلاقة بين الزوجين عشقاً)

◈أول آفة ونتيجة هي أن ننتظر ونتوقع من العلاقة بين المرأة والرجل أن تولد لنا أرفع صور العواطف وأشدّها، وهذا ما يُشتَبَه به كثيرا في مقام إقامة العلاقات بين الإثنين. فنرى كثيرا من الناس قد أبدل العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل إلى مجال لا يُنتظر منه إلا إرضاء نقصهم العاطفي. فمن الموارد التي تُلاحظ كثيرا في الخلافات الزوجية والتي تطرح في بعض المراكز الاستشارية للأسرة هي التوقعات العاطفية التي في غير محلها لكلا الزوجين من الزوج الآخر. تلك التوقعات الناجمة عن نقص عاطفي قد تكون متبقية من رواسب الطفولة والعيش في ظلّ الوالدين، ويتوقع الآن إزالتها وملأ فراغها من الطرف الآخر، وهذا ما يؤدّي بهم إلى أزمات كثيرة هم في غنىً عنها. ففي مقام الاختيار، يُبتلى باختيار عجول متسرّع، ثم وبعد حصول الارتباط يتحول هذا الحب إلى نفور من الطرف المقابل بأول شرارة على ما لايرام و بأول مايرى من الطرف الآخر ما لا يرضيه.

◈إذن، فثاني آفة للتصور الخاطئ عن العلاقة العاطفية بين الزوجين، وبسبب توقعاتهم وانتظاراتهم المتزايدة من بعضهم الآخر، هو حصول النفور السريع و الملل فيما بينهما حتى من غير خصام و عراك، فتغدو علاقتهما عادّية باردة ويصبح كل منهما مانعا من حصول اللذة بدلا من كونه مسببا له.

◈قد تنقطع العلاقة الاولى في كثير من الدول التي تحكمها الثقافة الغربية. لأن نساءهم و على أمل الحصول على علاقة عشق قوية تخضع وتستسلم لأول ارتباط ثم بعد ذلك تُطرد من قبل الرجل بعد أن يتبين لها أنها كانت مخطئة، لا أنهما سينفصلان بظروف منطقية و معقولة. ثم تبدأ المرأة بعدها بالانتقام من الجنس المخالف. وهذا الانتقام يشكل اليوم أسلوبا رائجا وأزمة عامّة وشاملة في الغرب لايمكن الدخول في تفاصيلها وجزئياتها لأن أدبنا الإسلامي لا يسمح بذلك.

◈لنتساءل لماذا تصل العلاقة الزوجية في الأسر المتدينة في البلدان الإسلامية إلى البرود؟ ولماذا تصل إلى الطلاق أيضا وبنسبة عالية في بعض الدول؟ كلّ هذا لأنّ كلّا من الزوجين يتوقع من الطرف الآخر القدر المتزايد من المحبة والتي نسميها عشقا. ماذا تعرفون عن العشق؟ صحيح أن الزوجين لابد و أن تبقى العلاقة بينهما حارّة، وصحيح أن قلبيهما لابد أن يبقى ينبض بالمحبّة، وتزداد المحبة فيما بينهما، ويفي أحدهما للآخر، بيد أنّ كل هذا شيء والعشق شيء آخر. فلا تتوقعوا العشق من هذه العلاقة. فإن كان العشق هو أشد وأرفع محبّة يمكنها أن تحيط بقلب الإنسان، فلا يمكن اعتبار العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل عشقا.

◈أتعلمون متى يمكن أن تتهيأ وتتّسق أرفع علاقة بين الزوجين؟ عندما يتحد وجودهما في عشق مشترك، أي عندما يحب الاثنين شيئا واحدا ويعشقونه إلى حدّ العبادة. عندئذ ستستتبّ وتستقرّ بينهما أرفع علاقة يمكن حصولها بين شخصين. وعندها يعمى كل واحد منهما عن عيوب الآخر؛ ولن تنجرّ هذه العلاقة إلى الطلاق بتاتا.

◈يا حبذا لو يتمّ الإعداد لرواية أو فيلم يصوّر علاقة عاطفية متعادلة بين شخصين لا يشعر أحدهما بضائقة ونقص عاطفي ولايخلط بين العلاقة والعشق ولايتوقع أحدهما من الطرف الآخر توقعات عاطفية زائدة عن اللزوم، ونرى في هذا الفيلم أو القصة جمال المحبة التي تربطهما، ومقدار اللذة التي يحصلون عليها من هذه المحبّة، وكم يشكل أحدهما سببا لسكينة الآخر وراحته واطمئنانه. فهل قرأتم في حياتكم مثل هذه القصة؟ وهل رأيتم مثل هذا الفيلم؟

(١٤)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد العاطفي

(العشق في الغرب)

◈لنرى هل تبقّى في الغرب شيء باسم العشق؟ نشاهد اليوم في #الثقافة_الغربية المنحطّة وقوع أكثر الحوادث إجراما في أجواء العلاقة بين المرأة والرجل. لماذا شاعت #المثلية اليوم في الغرب؟ ولماذا أصبحت الحياة هناك باردة مصحوبة بالوحدة؟ ولماذا نجد نظرة الغرب إلى الزواج قد تنزّل وانجرّ إلى حد الحاجة المادية لاغير؟ لماذا حصل كل هذا؟ فهؤلاء أكثر من غيرهم يدقّون على وتر العشق؟ وهؤلاء أكثر من غيرهم يغنون أناشيد الغرام؟ وهؤلاء أكثر من غيرهم يعدّون العلاقة الزوجية علاقة عشق وغرام؟ فلماذا إذن لم يتفشّ العشق بينهم و ينتشر؟

(النقص العاطفي بلاء العلاقة الزوجية وآفتها)

◈ يجب على الشخص المقبل على الزواج أو حتى قبل أن يقرّر على الزواج أن يعالج نقصه العاطفي؛ وإلا سينفعل ويرتبك لأقل محبة من الطرف الآخر؛ ويرى الذرّة منها بحرا فتذهب حرارة المحبة الأولى عند هؤلاء الأشخاص بعد عدة أيام، وتتحول إلى برود مقيت يورّث عنده أزمه نفسية، كما أن الحرارة الأولى أيضا تورّث عنده نفس هذه الأزمة.

◈ ما يجدر ذكره الآن هو إن النساء غالبا ما يكنّ أكثر سيطرة من الرجال في هذا المجال؛ لأن البنت أكثر من الولد يحصل عندها الإشباع من المحبة في بيت أبيها، وهذا هو المفروض. لذلك تجعل هذه السيطرة في البنت القدرة على الاختيار أكثر من الولد. راجعني طالب جامعي في يوم من الأيام وقال لي: أنا مشرف على الزواج وعندي خطيبة، والأهل على اطلاع بهذا الأمر وقد تمّ بينهما المحادثات الأوليه لكنها لم توافق لحد الآن، وتقول لا يمكنني العيش معك. وبما أنها تكّن لك الاحترام وتسمع كلامك، فأرجو أن تكلمها و تُقنعها.

◈وبعد أن جاءت خطيبته عرضت عليّ مشكلتها بقولها: هذا الرجل يقول لي أنا أعشقك وأهِيم بك ولا أستطيع أن أعيش لحظة واحدة من دون أن أراك وإلى غير ذلك من الكلمات، وأنا لا أرى في نفسي شيئا

يستحقّ هذا الاهتمام وأعلم بأنه يتصرف هذا التصرف بسبب النقص العاطفي المبتلى به؛ فهو الآن منفعل جدّا وأنا أعلم بأنه سيفتر بعد فترة قليلة؛ لأنه سيحمل كلّ ما عنده من نقص عاطفي إلى حياتنا المشتركة، فأنا على علم بأني وبعد الزواج لا أقدر حتى على القيام بتصرّف عادي.

◈كانت تقول: أنت تعلم بأنّ منقذ الغريق يلزمه الحذر الشديد لكي لا يجرّه الغريق إلى داخل الماء. فهذا الخطيب يجرّ منقذه إلى داخل الماء من شدّة خوفه وارتباكه؛ إذ إن تصرفاته معي هكذا. قالت: أنا أحبّه ويحبّني، ولكن ماذا تعني كلمة أنني لا أستطيع التنفس بدونك؟ فكأنه لم ير إمرأة في حياته؛ فكم هو ضيّق القلب بحيث يغيب عن الوعي ويرتبك لأقل محبّة. على كل حال، لابدّ وأن ننظر للعلاقة العاطفية بين الزوجين، بشكل معقول و النساء أقدر على ذلك من الرجال.

◈لابدّ وأن لا نجعل هذه العلاقة هي المحور بشكل إغراقي؛ فلا نحملها أكثر من طاقتها ولا نتوقع منها أكثر مما تحتمل؛ وإلا فستذهب بسرعة وتصرعنا.

(١٥)

الأبعاد الثلاثة للعلاقة الزوجية

البعد المادي

◈إلى الآن قد أشرنا إلى البعدين العرفاني والعاطفي في العلاقة الزوجية. أمّا البعد الثالث فهو البعد المادي في هذه العلاقة.

لابدّ أن نعلم أن سدّ الحاجة المادية في العلاقة بين المرأة والرجل لا هو معصية ولا عمل سيئ قبيح. فلماذا بعض الناس يعتبرون التعبير عن #الرغبة_الجنسية جريمة؟! فإن لهذا الإنسان رغبة جنسية فلماذا تسكتونه وتمنعونه من التعبير عن ذلك؟

◈طبعا قد يكون التعبير عن الحاجة الجنسية بغير أدب ولكن هل تعلمون نظرة الإسلام إلى الرغبة الجنسية؟ لقد اعتبرها في عداد الحاجة إلى الطعام والشراب وغيرها.

◈إن قيل لشابّ أنّ وجود الرغبة الجنسية فيك معصية، فإذا شعر بالرغبة الجنسية، سيقول في نفسه يبدو أني إنسان عاص من الطراز الأول فلا يدرى قد سقطت من عين الله!

◈لعلكم تسألون أن لماذا تصرّ على أن تكون نظرتنا تجاه الرغبة الجنسية نظرة متعادلة؟ والجواب هو أنه كما لم أستطع أن أشرح الرغبة الجنسية نفسها، كذلك لا أقدر على الإجابة عن هذا السؤال. ولكن أكتفي بالإشارة إلى أن لهذه النظرة المتعادلة بركات كثيرة، ومن شأنها أن تبثّ تعادل رائعا في المجتمع.
فإن حصّل امرء على هذه الرؤية سيواجه قضيّة العلاقة بين المرأة والرجل بموضوعية وأسلوب صحيح. إنه سيحسن التصرّف تجاه قضايا من قبيل: ما هي نوعية الرغبة الجنسية لدى النساء؟ وما هي نوعية الرغبة الجنسية لدى الرجال؟ وما ينبغي من النساء في هذا المجال؟ وماذا يجب على الرجال في هذا الخصوص؟ ومن الذي يتحمل المسؤولية الأكبر في هذه العلاقة؟ إلى غيرها من القضايا.

هل تعلمون ما هي أسوأ نظرة إلى العلاقة بين الزوجين؟ عندما ننظر إلى العلاقة العاطفية بنظرة إفراطية، ثم نبالغ بالحديث عن هذه العلاقة وفي نفس الوقت نمزجها بمعصية باسم الرغبة الجنسية. فماذا تكون النتيجة؟ بهذه النظرة يخرجون الناس من دين الله أفواجا. وسوف يتورّط الناس بالمعصية والذنوب ويساق المجتمع إلى متاهات. نحن لا نستطيع أن نتحدث عن هذا الموضوع بشكل واسع، فلنكتفِ بهذا القدر.

(١٦)

أصول اختيار الزوج

◈اختيار الزوج وشريك الحياة تعدّ أول مرحلة من مراحل الزواج، وهذا الموضوع هو مدار بحثنا، وسيجد شبابنا الأجوبة على كثير من أسئلتهم في أثناء مواصلتهم هذا البحث، فكثيرا ما يسألون عن هذا الأمر بالتحديد في الجلسات و عند الاستشارة. بيد أن الأمر المهم الذي يستدعي استرعاء الانتباه في مرحلة الاختيار و لربما بعد ذلك، هو ضرورة إصلاح الرؤية عن مسألة الاختيار.

الأصل_الأول: هل الزواج يتم بانتخابنا أم بالتقدير الإلهي؟ ما هو الاختيار الأمثل؟

◈أما عن نظرتنا للزواج و كيف يجب أن تكون؟ وبعبارة أخرى، ما هي الحصيلة الأولى لتشكيل الأسرة؟ و هل تخضع لاختيارنا بالكامل أم لشيء آخر؟ فالكثير يسعى ليحصل على أفضل اختيار، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: أولا ما معنى الاختيار الأفضل؟ ثانيا و هل بوسعنا الحصول عليه؟

◈ما معنى الاختيار الأفضل؟ وهل بمعنى ذلك الشخص الذي لايريد الله أن يمتحننا عن طريقه؟ و هل بوسع الإنسان أن يقف أمام الامتحان الإلهي و يمنعه عنه؟ وهل الزوج الأفضل، هو الإنسان الذي ليس في وجوده أية نقطة ضعف؟ أو هل الزوج الأفضل هو الشخص الذي يمكنك تحمّل نقاط ضعفه؟ فلو كان الأفضل هذا، فكيف بوسع الإنسان التكامل؟ فأي منطق هذا يجعلنا عد هؤلاء هم الأفضل؟ أوليست الأسرة أرضية لتكاملنا؟ قد يقول قائل: إن أفضل اختيار، يعني الشخص الذي يلائمني. طيب، من هو الذي يلائمك؟ و من منا يعلم ما هو الذي يلائمه بالتحديد؟ لا يعلم هذا إلا الله سبحانه. و عليكم العلم بأن الله هو الذي اختار لنا أزواجنا. وليس علينا إلا السعي في مرحلة الاختيار، أما الزواج فهو من التقديرات المحددة لنا.

(١٧)

أصول اختيار الزوج

اختيارنا كاشف عن الإرادة الالهية (١)

◈اختر من شئت؛ و فكر بكل من تتصور أنه الصالح و دعه في مخيلتك و احص ملاكاته و معاييره. لكن في نفس الوقت إعلم بأن أي عمل تقدم عليه، لايمكن أن تغير به المقدرات الإلهية في باب الزواج بسهولة. فالطرف المقابل لايحدده لنا إلا الله. فالله يريد أن يمتحنك في المستقبل بزوجك ليصل بك إلى الرشد بواسطته. لايعرفك حق المعرفة إلا الله عزوجل لذا فهو الذي يعلم بمن سيتم زواجك في المستقبل. استخر الله ماشئت لتعرف بأن هذه الزوجة هي الصالحة أم تلك. فالله يدعك حتى تنهي كل استخاراتك و

استشاراتك واستعاناتك بكل الامكانات للوصول إلى الحل الصحيح. ثم بعدها لو أراد امتحانك بإيذاء زوجك لك لتتحول إلى انسان كامل، لا أحد على الإطلاق يمكنه تغيير هذا القدر الإلهي ولو بشيء يسير.

◈فقضية الاختيار كاشفة لنا عن #التقدير_الإلهي و ما كتبه الله لنا. ولذلك ليس علينا إلا العمل بالتكليف في مقام الاختيار ولا شغل لنا بالنتيجة.

◈عندما كنت شابا قصّ عليّ أستاذي قصة، فقال: لقد كان شاب يسكن في محلتنا، توسلت أمه بالسيدة الزهراء -سلام الله عليها- حتى تعيّن لولدها الزوجة الصالحة. فنذرت لذلك النذور و أطعمت لأجل ذلك من تشاء و عملت كل شيء يقربها لمرادها، إلى أن رأت السيدة الزهراء في الرؤيا وقد دلتها في رؤياها على بنت من أقاربها أو معاريفها، لكنهم كانوا يعرفون هذه البنت من السابق ولم يرضوا بها زوجا لابنهم. فقالت الأم في نفسها عند استيقاضها من نومها: لابد من إشكال في هذه الرؤيا؛ ولعلي أفرطت في الأكل البارحة أو ... فالأفضل أن استمر في توسلاتي، لكنها رأت نفس الفتاة مرة أخرى في الرؤيا. فعزموا على خطبتها و تم الزواج. فينقل الأستاذ عن هذا الشاب قوله: لقد تورطنا بهذه البنت ورطة كبيرة جدا، فقد كانت حياتي معها تعيسة، لكني مرتاح البال لهذا الاختيار ولديّ قناعة بأن السيدة الزهراء -سلام الله عليها- أرادت امتحاني بهذا الاختيار لأحصل به على التكامل. و الكلام بطبيعة الحال نفس الكلام بالنسبة للنساء. لايمكنكم على الاطلاق أن تقفوا أمام #القدرة_الإلهية بالإقدام على #زواج غير مناسب في رأيكم. فلا تتخبطوا خبط عشواء، ولا تقدموا على فعل غير معقول. أنا لم أقصد بكلامي بأن لاتسعوا في مسألة الاختيار، أو أن سعيكم لا أثر له. فهذا الأمر جار في كل أبعاد حياتنا و مراحلها، فليس أمامنا إلا العمل بالتكليف و ترك التقدير لله سبحانه.

◈فقد قال النبي محمد(ص) لرجل يريد الزواج: «لو دَعا لك إسرافيلُ و جِبريلُ و ميكائيلُ و حَمَلَةُ العَرشِ و أنا فيهِم ما تَزَوَّجتَ إلّا المرأةَ التي كُتِبَت لكَ».

[كنز العمّال: ٥٠١ , ميزان الحكمة/ج٩/ص٣٠٢]

◈لقد خلقنا الله لنصل في مسيرتنا هذه إليه. لقد خلقنا لنصل إلى رشدنا و تكاملنا بالامتحان. فهو الذي يعين لنا هذا الامتحان، كما و يعين لكل شخص زوجه و نصيبه. فقد يتم الزواج عن طريق إلقاء محبة أحدهما في قلب الآخر؛ وقد يتم بإصرار الوالدين، و قد يتم بأن يتعرف أحدهما على الآخر صدفة و هكذا. بيد أن أصل الزواج، ليس باختيارنا. لكن نتيجة مساعينا لاختيار الزوج، كاشفة عن الإرادة و التقدير الإلهيين. لعامّة الناس مثل يقول: «لننتظر و نرى من سيكون قسمة من». وفي الحقيقة إن هذا ليس مثلا عامّيا، بل هو استنباط عرفاني لحقيقة الزواج.

(١٨)

أصول اختيار الزوج

اختيارنا كاشف عن الإرادة الالهية (٢)

◈أمّا السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: ما محصل اختيار الانسان؟ و هل هناك منافاة بين التقدير الإلهي و انتخابنا؟ أولسنا نحن الذين اخترنا أزواجنا؟

◈إياكم و أن تقيّموا #الاختيار على أنه لاينسجم مع التدخل الإلهي. فليس الأمر كما يتصور البعض بأن الأمور التي تجري باختيارنا ليس لله يد فيها بل يدعها بأيدينا كاملا. فليس لدينا أي اختيار مطلق حتى في اختيار سيارة الأجرة. فعملية الاختيار هي في الواقع عملية امتزاج بين إرادتنا و إرادة الله سبحانه. فلامناص من جعل هذه الحقيقة نصب أعيننا و هي أن اختيارنا، لايمكن أن يكون مطلقا، كما أن #الجبر بطبيعة الحال أيضا لايمكن أن يكون مطلقا. و البسط في هذا الموضوع موكول للبحوث الكلامية ولا مجال هنا للخوض في هذا الموضوع بأكثر مما ذكر.

◈سأكتفي هنا بالقول بأن #الزواج من أكثر الموارد التي يخضع فيه تدخل #المشيئة_الإلهية لتعلقه بكل حياتنا. فقد رسم الله لنا الخطة التي نمشي عليها في كل حياتنا ولا مجال بحال من الأحوال لضربها أو تغييرها. السعي لاختيار الزوج الأفضل هو تكليفنا وله الأثر المباشر على حياتنا. لكن لابدّ من العلم بأن هذا التكليف وهذا الأثر المباشر هو، مظهر المشيئة الإلهية في نوع #الامتحان الذي يمتحننا الله به في حياتنا الأسرية. إذن، تكليفي في الاختيار له محله الخاص، و مسألة أن الله يفعل ما يشاء أيضا لها محلها الخاص. فأنت تختار و على أساس مجموعة من المصالح و المنافع. أما وصولك لهذه المصالح أو عدمها فهو موكول للسنّة الإلهية. نعم، لابد من القول بأن حسن عملك مأثر حتما في صلب الحقيقة والواقع التي أنت عليه الآن. وسأتناول مسألة حسن العمل وأبسط الكلام فيه أكثر في المواضيع القادمة.

◈الملاحظة الأخرى هي، قد يتصور البعض بأن المرء الجيد لابد وان يكتب الله له نصيبا جيدا مثله. بيد أن الشواهد الكثيرة تنصّ على خلاف هذا التصور، فقد استشهد بعض أئمتنا على يد أزواجهم، وهذا التصور ناشئ من عقيدة خاصة و هي أن الزواج الصالح بمثابة الجائزة على أعمال المرء الصالحة، فأي إنسان يصلح باطنه و عمله و إيمانه، يحصل على زوج صالح مثله. كلا! فليس الأمر هكذا. إن زوج المرء أرضية لرشده المعنوي، والله سبحانه هو بوحده يعين الزوج المناسب لرشدنا. فاختلاف زوجتك معك روحيا و المشاكل و المصادمات المترتبة على هذا الاختلاف قد تشكل لك أرضية الرشد المتزايد. ولعله كلما ازدادت ظرفية الإنسان و سعته الوجودية كان نصيبه زوجا أقل مرافقة و موافقة و أكثر اختلافا. أو لم يكن الإمام الحسن - عليه السلام - و الامام الجواد - عليه السلام - يستحقان المرأة المؤمنة الصالحة؟

◈و القضية الأخرى الجديرة بالتأمل، هي إن الله سبحانه لايحرمنا للطفه و كرمه بسبب بعض تقصيرنا و نقصنا. إذ كرمه سبحانه أكثر من أن يعاملنا بالنقص في التقدير بسبب ضعفنا و تقصيرنا تجاهه.

◈وكما أشرنا إليه سابقا و نشير إليه لاحقا أن سعي المرء للحصول على زوجة صالحة لايذهب جزافا أبدا. كما أن دعاءه و دعاء أمه و أبيه بحقه أيضا مؤثر حتما. غير أن التقدير و المصلحة مع هذا لها مكانتها و أهميتها الخاصة.

◈فمع أن "الدعاء يرد القضاء ولو أبرم إبراما" بيد أن كثيرا من أعمالنا كاشفة عنه. فليس أمامنا إلا السعي بمقدار وسعنا و طاقتنا؛ وبه تتحقق قسمة كل فرد.

◈خلاصة القول، أن اختيار الزوج، متعلق بمصلحة العبد و خيره قبل كونه متعلق بكفاءاته أو تقصيره.

◈اسمحوا لي هنا أن أوضح لكم محصل الاختيار و الدور الإلهي فيه بمثال: فلو قرر شخص الزواج ببنت وجيهة وذات شخصية مرموقة ليشمخ بأنفه و يفخر بها أمام أقربائه الوجهاء، بطبيعة الحال يمكن

معرفة خصائص الفتاة التي يبحث عنها من خلال الموارد التي يدرسها والفتيات التي يخطبهنّ. ولكن من الذي يعرّفه ويدلّه على هذه الفتيات؟ الله سبحانه هو وحده الذي عرفه عليهن.

◈وبعد التي واللتيا يختار واحدة من بينهن ممّن تصلح لأن يباهي بها أقرباءه. ولكن بالمناسبة، قد جعل الله سبحانه في هذه الفتاة صفاتا لا تطاق، لكي يجعلها سببا لرقيّه و الوصول إلى رشده. فهنا قد تم الاختيار من قبل الشخص، والله أيضا فعل ما يريد. إضافة إلى هذا قد يوقعه الله في صعوبات عديدة و يمتحنه امتحانات عسيرة بسبب نيته السيئة في الاختيار. على كل حال ليس اختيارنا اختيارا مطلقا.

(١٩)

أصول اختيار الزوج

(لا يحدد الحياة الراقية قالب خاص)

◈الزواج ـ كما أشرنا سابقا ـ هو تهيؤ أرضية التكامل للرجل و المرأة. و على هذا فليس من المعلوم أن نحصل على زوج مطابق للمعايير المأخوذة بالحسبان مئة بالمئة. فلربما أراد الله امتحاننا بزوج يحصل على كل المعايير المعتبرة ظاهرا و يفقد كثيرا منها حقيقة. بل، و حتى لو اخترنا من يحمل كل المعايير المأخوذة بالحسبان، فمن الممكن أن يجعله الله سببا لامتحاننا من جهة أخرى. فقد يسألني الأخوة و الأخوات في جلسات الاستشارة بأن الاختلاف السني بيننا ٣ أو ٤ سنوات، فهل هذا جيد؟ أو أنه أقوى مني إيمانا، فهل هذا أفضل أم لا؟ فما عسى جوابي أن يكون؛ سأجيب بقولي: ليس لي علم بذلك. فذوي القلوب و الأبصار المفتوحة بوسعهم القول بأن من اخترته، هل هو المقدّر لك من قبل أم لا؟ لكن عليك العلم بأنك في آخر المطاف لا تتزوج إلا بمن قدره الله لك لا غير.

◈فقد يقول البعض: كنت أريد الزواج بمن هو أقوى مني إيمانا لكي يكون عونا لي على الرشد و التكامل، لكني لم أحصل عليه فقد تزوجت بمن هو ليس كذلك. فنجيبه بالقول: من قال لك بأن الأقوى إيمانا سيكون عونا لك على رشدك؟ فقد يتم هذا العون على يد من هو أضعف منك إيمانا. إذ أن الزواج هو تهيؤ أرضية الرشد على أساس خطة معينة يرسمها لنا الله عزّوجلّ.

◈و خلاصة القول هو: لا تتصوروا بأن الأسرة المثالية التي تطوي سير الرشد و التكامل، لها قالب خاص لا تحيد عنه. كلا، فقد تكون هذه الأسرة بأنماط مختلفة. فتجنبوا الحالة الخاصة. و لا تقولي أريد زوجا ليس له إخوة و أخوات كثيرون؛ فلعل كثرة الإخوة و الأخوات و الاقرباء سيشكلون عاملا مساعدا على رشد الأطفال بصورة أفضل. فمن كانت له خمس عمات يعتنين به و يدللنه، فمن الطبيعي تكون حياته مفعمة بالمحبة أكثر بكثير ممن له عمة واحدة فقط.

◈أو قد يقول الرجل: أريد زوجة قمة في الجمال، لكي تملأ عيني ولا أفكر بغيرها و لاتذهب عيني وراء غيرها. فنقول له: إن جمال زوجتك لايمكنه أن يصونك من الزلل لو كنت متبعا لهواك لاتملك القدرة على ضبط عينك.

◈لقد وضع اليوم شبابنا أنماطا معينة لكثير من الملاكات كالسنّ و قوة الإيمان و قلة الأقرباء و غيرها من الملاكات المادية و المعنوية، و قصروا أنفسهم على التفكير بها، و لايحاولون الخروج عنها. فنقول لهم: لايمكن تعريف الزواج السامي بشكل خاص. إذ لاشيء من هذه الملاكات بالذات يدلك على المعيشة

السامية. فالذين يضعون لأنفسهم شروطا و أنماطا للزواج معقدة و محكمة - على حد تصورهم - غالبا ما نجدها لاتحمل أطرا منطقية، فيندمون عليها بمرور الزمن، و قد يتفق أحيانا أن يتضررون بها و تكون سببا لخلق بعض المشاكل و المتاعب لهم.

◈فخلاصة القول هو: لاتجعلوا لمعيشتكم قالبا خاصا، بل اجعلوها محلا للتكامل و محلا تظهر و ترتسم فيه العاطفة و المحبة و التعاون على الرشد و الكمال.

(٢٠)

(أصول اختيار الزوج)

(من كذب الأفلام الغربية إلى واقعية الحياة)

◈تعقّد كثير من بناتنا مسألة الاختيار مما يؤدي إلى تأخير زواجهن بسبب هذه الأنماط التي يتلقينها من #الأفلام_الغربية. إسمحوا لي هنا أن أضع بين أيديكم ثقافة الأفلام الغربية في إلقائها للعلاقة بين #المرأة و #الرجل لكي تنطبع عندكم صورة كاملة عنها: فهم يصورون المرأة و الرجل موجودَين يُختم عليهما بسبب هذه العلاقة و من المفروض أن يحصل بينهما ذوبان كامل بحيث يغرق أحدهما في الآخر و يصلان إلى نهايتهما في هذه النقطة. فهم لا يصورون العلاقة بين المرأة و الرجل كبداية الحركة للتكامل، بل هي نهاية الآمال و الوصول إلى كعبة آمالهم.

◈فإقامة العلاقات تعدّ عندهم نقطة الوصول إلى نهاية الإثنين أحدهما بالآخر. فهنا لابد من القول لهم: يا هذا؛ لا تنتهي أيّ امرأة بوصولها إلى أيّ رجل، و لا ينتهي أي رجل بوصوله إلى أي امرأة. فالزواج، هو بمثابة منطلق الحركة و بداية التقدم و الرشد للإثنين.

◈أتعلمون كيف تستحكم #الأخلاق_الإسلامية في #الأسرة؟ ذلك عندما يرى الزوج في زوجته نقطة ضعف ليس بوسعه تحملها، ثم يبتهج و يقول في نفسه: هذه هي النقطة التي ستساعد على رشدي و تطوّري. فليس أنه لا ينزعج لتصرف زوجته فحسب، بل يسترّ لذلك، لعلمه بأن هذا الخلق السيئ يشكل أرضية تكامله و رشده.

◈فليس الأخلاق الإسلامية في الأسرة أن تكون زوجتك متواضعة. أتعلمون ما هي مشكلة من يبحث عن امرأة متواضعة؟ مشكلته أنه متكبر فيبحث عن امرأة متواضعة تتحمله حتى لا يؤول أمرهما إلى الخصام و المشاكل و المتاعب.

◈إذن، نقاط الضعف هي ذرائع النموّ و وسيلته، و ليس الزواج هو نهاية الدرب، حتى نغتم عند رؤية نقطة ضعف واحدة لنهايتنا المرير. بل إن الزواج هو بداية المسير، و نقاط الضعف هي بمثابة الراعي إلى الرشد و النمو و التكامل.

(٢١)

أصول اختيار الزوج

دور العاطفة واللذة المادية في الزواج:

◈إن محور #الأسرة لا يدور حول #اللذة_المادية المتواجدة في العلاقة بين المرأة و الرجل. بل إن هذه اللذة لها دور محفز. فإنما دورها دور زيت المكائن، الذي يساعد على تسهيل حركة الماكنة. أما هدف الحياة فهذه الحركة التكاملية لاغير. فبداية نشوء المرء تكون حياته مليئة باللذة المادية و مفعمة بالعاطفة بين المرأة و الرجل و الاحساس الشديد بالحاجة للزواج، و كل هذا لكي يختار الشاب و الشابة الزوج المناسب بسرعة ليردوا ساحة التكامل. لكن، ليعلم الجميع، أن لا وجود للانسجام و التكافؤ المطلق في الصفات بين الزوجين. و إلا فلا يمكن أن يصل الإنسان في أجواء التكافؤ المطلق إلى رشده و نموّه. فمن فوائد هذه العاطفة الشديدة، هي أنها تجعل الشباب لا يتصعبون كثيرا في مسألة التكافؤ المطلق لكي يدخلوا إلى ميدان الحياة الزوجية بسرعة و عندها يُصدمون عند التفاتهم إلى مدى عدم التكافؤ المتوفر بينهم.

◈فما فلسفة عدم التكافؤ إلّا الحصول على الرشد و التكامل. فالحاجة العاطفية الملحة تجعل من الفتاة و الشابّ يردا حياتهما الزوجية بذكريات جميلة تساعد على استحكام العلاقة فيما بينهما و تعزيزها لتجعلهم يحسنون التعاطي مع عدم التكافؤ فيما بينهما. و كما قلنا سابقا، بأن على الزوجين شكر الباري عزوجل على أن جعل من سوء خلقهما و من عدم التكافؤ بينهما منطلقا لرشدهما و تطورهما.

◈الزواج و العلاقة بين المرأة و الرجل على قسمين: تكافؤ و عدم تكافؤ. و الويل لكلا الزوجين فيما لو لم يتحمل الآخر إن لم يكن منسجما معه في الصفات. و الويل لهما لو لم يعتبرا عدم الانسجام في الصفات فرصة ذهبية لرشدهما.

◈فمن يتصور أنه ليس بوسعه تحمل أخلاق الزوج السيئة، يجره هذا التصور إلى ترك البيت أكثر الأحيان إذ لا يعد يطيق تواجده في المنزل و هذا ما يؤدي إلى الجفاء ثم النفور فيما بينهما. مع أن الله سبحانه قد صمم معالم هذه المعيشة لهذا الأمر الذي لم يتحملاه بالتحديد. فقد صمم الله بداية الحياة الزوجية بحيث ينشغل الاثنان و يلتذان بزغاريد وأهازيج الناس حواليهما وبالعاطفة الأوّلية و... ثم ينتقلان إلى هذه المرحلة و يحصلان على رشدهما عبر الاختلافات الطبيعية الموجودة بينهما.

(٢٢)

أصول اختيار الزوج

فترة العقد فرصة لمعرفة مواطن الانسجام وعدمه:

◈تعد بداية الحياة المشتركة، فرصة جيّدة و دورة معرفة تأهيلية للدخول في الحياة المشتركة. فعليهما السعي بعد العقد لدرك و معرفة الصفات المتكافئة و غير المتكافئة و دراسة آداب الدخول إلى الحياة الزوجية. و سنشير بالطبع في المواضيع القادمة إلى أن معرفة الصفات المتكافئة و غيرها صعب جدا.

◈اسمحوا لي أن أشير هنا إلى أحد آداب الدخول للحياة الزوجية بمناسبة الموضوع: قد تحصل للمرأة و الرجل في بداية حياتهم المشتركة جاذبة قوية و يبدأون حياتهم بالمحبة و العاطفة. ولكن لابدّ أن يأخذا بنظر الاعتبار بأن العاطفة الأولية، هي رأس مال نجاحهما في حياتهما الزوجية، وتبقى ضرورة السعي للحصول على الحب و العشق فيما بينهما، باقية في محلها. فليعلم الزوج أنه إذا رأى حبا بالغا من زوجته فإن قسي عليها منتهزا حبها وحملّها ما يفوق طاقتها، فإن هذا التحميل غير المعقول و المستمر يعد من مصاديق الصرف من رأس المال وتضيبيعه؛ لأنه مما يؤدي إلى زوال هذه المحبة الأولية شيئا فشيئا. فلا ينبغي صرف رأس المال بوقاحة.

◈لا يريد الاسلام أن ترفع حجب الحياء بصورة مطلقة بين الزوجين. لأن بقاء شيء من الحياء ضروري لجلب محبة الآخرين و مما يساعد على بقاء المحبة فيما بينهما أكثر.

(٢٣)

أصول اختيار الزوج

أصلين آخرين في اختيار الزوج؛ شروط الزواج (١)

◈ابتداءً و قبل الدخول في ذكر شرائط الاختيار، أقدم لكم تقريرا في شخصية الناس عموما، بالأخص فيما يتعلق بالخصوصيات الروحية لمن هم في سن الزواج.

◈نجد الشباب في مرحلة شبابهم طموحين جدّا، و تبعا لهذه الصفة فهم كثيروا التخيل و الأحلام؛ فيتصور في نفسه و في زوجته صفات ليس لها وجود عند الآخرين لذلك يقول: "أنا هكذا و هكذا". لا أنت لست هكذا، بل أنت تحب أن تكون كذلك. إن الشاب يقول: "كلا، أنا هكذا؛ لأني أختلف عن الآخرين كثيرا" فيتصور أنه يختلف عن الآخرين. لا بأس؛ دعوا الأيام تكشف حقيقته من خياله، فما أن تنقضي خمس سنوات على حياتهما المشتركة نجده يرفع صوته و يصرخ بوجه زوجته و أولاده، بالضبط مثل أبيه، الذي يتصور أنه يختلف عنه!

◈أو أن البنت أيضا تصبح بعد هذه المدة القليلة مثل أمّها لا طاقة لها على تحمل أي شيء فتصرخ في وجه زوجها و أولادها لأبسط قضية. بحيث يمكن القول: لو أردت أن تعرف طبيعة الولد أو البنت، أنظر إلى أبيه و أمّها. بيد أن السؤال الذي يعترضنا الآن هو: هل من الأفضل أن يُقدم العريس و العروس على معرفة أنفسهما و عائلتهما لوحدهما أو يوكلا هذا الأمر إلى والديهما؟ فهل الوالدين يمكنهما معرفة الوالدين أكثر من الزوجين، و نفس الزوجين بوسعهما معرفة الطرف الآخر أكثر من الوالدين أم أن نفس الوالدين أيضا يمكنهما ذلك أكثر من الأولاد؟

◈نظرا لتحقيق أجراه علماء النفس في أمريكا -وقد اطلعت عليه وقرأته قبل مدة - : إن ٧٠ بالمئة من العوائل الموفقة و الراسخة، هي التي تشكلت بواسطة الوالدين و تدخلهم.

◈و ما يدعو للأسف هو أننا نجد مجتمعاتنا اليوم، عندما يريد الآباء أن يفخر و يتباهى بتربية أولاده أمام الآخرين يقول أنا لا أتدخل في اختيار زوج أولادي و اترك لهم الخيار بالكامل.

◈فهلّا يقول له قائل: ان ابنك وبهذا السنّ و بهذا الظرف يسير في خياله و مشغول في أحلامه و طموحه، فيرى نفسه مثل ما أملت عليه مخيلاته، فلا تتوقعوا منه أن يكون واقعيا، يعرف خيره و صلاحه.

◈أيها الآباء، أيتها الأمهات، هل تعرفون قابلية أولادكم و استيعابهم؟ هل تعرفون ميزاتهم؟ فأنتم من بوسعه التعرف على أبوي الطرف الآخر بشكل جيد لا غير، لتروا هل من انسجام بين الأسرتين أم لا؟

◈يا من ليس بوسعه تحمل أسرة الطرف الآخر حتى في جلسة الخطبة إلى حد قد تنتهي بنزاع و خصام على أمور ليست ذا أهمية، فكيف تقولان إن الولد و البنت عشق أحدهما الآخر؟ فإن هذا العشق حصيلة قوة الخيال التي يمتلكونها لا غير. فترقبوا بعد ذلك النزاع و الخصام من هذين العاشقين!

◈أنا لا أهدف من هذا الكلام سوى أن أبين لكم أن قدرة الاختيار عند الشباب في فترة شبابهم ضعيفة جدا. فعليهم استشارة الوالدين و طلب معونتهم في أمر الزواج كما يفعلون في كل أمر آخر. و بالطبع، يمكن أن تكون آراء الوالدين غير صائبة، فلا أحد يشك في ذلك. إذ قد يُدلي الآباء برأيهم على أساس من التفاخر و التباهي لا على أساس ظروف أولادهم وخصائصهم. لكن الأصل في المسألة هي ما أشرت إليه آنفا.

◈قد نرى شابين متلائمين و منسجمين في كثير من ميزاتهما ولابد أن يتزاوجا، بيد أن الآباء و الأمهات يقفون دون تحقق هذا الزواج لأسباب تافهة كالتفاخر و التباهي أمام الأقرباء و الأصدقاء. عالمنا اليوم، هو عالم التفاخر. لكن الأصل في المسألة، على الآباء أن يكونا منصفين عادلين، نعم قد يوجد خلاف الأصل، لكنه قليل جدا.

◈فالأصل هو: بوسع الآباء و الأمهات تشخيص الحقائق أكثر من الشباب، نعم من الممكن أن تكون معاييرأحكامهم خاطئة أو ناقصة. فلو كانت معايير الآباء غير صحيحة، سيرون الحقائق عند التحكيم، لكنهم يقعون في الاشتباه في تقييم الحقائق و إجمالها.

فعلى سبيل المثال: بوسع الوالدين معرفة أصالة الأسرة المقابلة و أخلاقها و إيمانها و تديّنها و التزامها أكثر من الأولاد، لكنهم لو لم يعطوا لهذه الملاكات أهمية و قيمة فائقة، ستكون النتيجة ما لايحمد عقباه.

(٢٤)

أصول اختيار الزوج

أصلين آخرين في اختيار الزوج؛ شروط الزواج (٢)

◈قد يتخذ الآباء المستوى الثقافي للأسرة المقابلة ذريعة للردّ، فيقولون بأنهم ليسوا بمستوانا و لا يليقون بنا، و سأتحدث لاحقا عن هذا المعيار تحت عنوان (الملاكات الاجتماعية)، لكني أذكر هنا إجمالا ما يجب استفساره من الآباء و الأمهات: هل من المقرر أن تُتخذ الأسرة المقابلة وسيلة للتفاخر و التباهي أمام الآخرين؟ و هل هم سترة و بنطلون لأرى هل تليق بجسمي أم لا؟ فكم هي مؤلمة أعمال بعض الآباء و الأمهات الذين يقفون حجر عثرة أمام زواج أولادهم بسبب التفاخر و التباهي و الأنانية، فبعد اللتي واللتيا وبعد ما قد أحسن الأولاد الاختيار، تصل النوبة إلى الوالدين ليعرقلوا الأمر.

◈و كما أشرنا سابقا، فالعقلاء من الوالدين غير المتعلقين بالدنيا ينظرون إلى أفعال والدي الطرف المقابل و ردود أفعالهم، عندها سيقفون على مدى ملائمة هذه البنت لهذا الولد أو عدم ملائمتها له. و هذه الملائمة و عدمها، متعلقة بعدة عوامل سأشير إليها في أثناء البحث.

◈خلاصة القول: ليس للولد و البنت - وبسبب خصائصهما الروحية- القدرة على المعرفة و التشخيص المتزايدين في مجال اختيار الزوج، فما عليهما إلا إخبار والديهما بالميزات و الخصوصيات المأخوذة بالحسبان و التي يحبونها و لايقدمون إلا باستشارتهما أو استشارة أي كبير آخر.

◈قد يقول البعض بأن أبي و أمي أميّان فكيف أشاورهما في مسألة الزواج المهمة؟ نجيبه بقولنا: إن حاسة التشخيص، لا تتعلق كثيرا بالتعلم و الدراسة و غير ذلك. فلا تتخذوا أميّتهما ذريعة للاستغناء عن استشارتهما. إسألاهما عن الطرف المقابل و عن عائلته لتروا ما رأيهما فيهم؟ و ما هو شعورهم تجاههم؟ هل يرتضوهم أم لا؟ و هل هذه البنت ملائمة لك أم لا؟ و اطمئنّا بأن تشخيص هذه الأمور لا علاقة لها بالدراسة و عدمها.

◈لذلك، فأصل الاختيار بمشاورة الوالدين، أصل مهم جدا في مسألة الاختيار، بعد أصل التقدير الإلهي.

◈الأصل الثالث: الثقافة المحلية و الأسرية. فلابأس من الاحتياط في الزواج و اختيار الزوج الذي هو من مستوانا الطبقي و المحلي. و بالطبع، ليست هذه الوصية مطلقة و دائمة، بل إنها تؤتي ثمارها ٥٠%.

◈الملاحظة الأخرى: لو كنتم ترغبون في مورد معين غير مكافئ لكم لا في ثقافته ولا في مستواه الطبقي ولا في عشيرته ولا منطقته، فلا تصرّوا عليه كثيرا، فلربما كان عدم تحققه ينفعكم. فهذه المسائل قد تكون من الموانع التي يضعها الله في طريقنا لكي لا يتحقق هذا الزواج و لكي نكون في أمان من عواقبه الوخيمة.

(٢٥)

أصول اختيار الزوج

ملاك أفضل فتى وأفضل فتاة

(من هو الأفضل من الأولاد؟)

◈لقد أشرنا سابقا و لعدة مرات بأنك لا تتزوج إلا بمن اختارها الله لك، لكن المهم قوله هنا، هو أن هذا الأمر لا يعني أن تقف مكتوف الأيدي أمام مسألة الاختيار. بل المفروض القيام بالواجب على الوجه الصحيح، و تأمل من الله أن يكون سعيك مؤثرا. و القيام بهذه الوظيفة على أحسن وجه، بحاجة إلى ملاك صحيح تسير عليه.

◈فالسؤال الأساسي عند الشباب في أوان زواجهم هو: من هو الفتى الأفضل للاختيار؟ و من هي الفتاة الفضلى لذلك؟ أي ماهي خصوصيات الفتاة و الفتى الأفضل و ميزاتهم؟

◈ندخل أولا في ميزات الأفضل من الفتيان:

◈إن الزوج الجيّد، هو الذي نشأ في أسرة نالت الأم في أحضانها المحبّة الوافية من أبيه، وتواضعت الأم في المقابل لزوجها؛ فعندئذ لا يمكن للولد أن يكون معقدا. و الولد المتعادل غير المعقد من الممكن العيش معه و الوقوف معه في معترك الحياة.

◈فهذا الفتى و بسبب كونه قد ورث الاعتدال الروحي من أسرته، ولأنه لم يتعلم منها القسوة، و لم ير في داخل الأسرة التغافل عن حقوق الآخرين، و قد رأى السلوك الحسن المتقابل بين والديه بشكل جيد، فحتى لو كان يختلف مع الفتاة في بعض الصفات والخصوصيات، لكنه وبسبب تعادله الروحي سيتماشى مع هذه الاختلافات بسهولة و لا يجعلها تؤثر على سعادتهما.

◈أيتها الفتيات؛ لو اخترتن فتى لا يملك تعادلا روحيا بسبب كونه لم يرث هاتين الخصلتين من أسرته التي عاش في كنفها، فما عسى أن تكون النتيجة؟ تارة تجديه يطلب منك محبة فائقة على اللزوم. و قد يطلب منك تواضعا متزايدا. و قد يبدو منه الإعجاب بالنفس تارة. و من الممكن أن تجدي في هذا الولد كثيرا من المسائل التي تعود منشؤها إلى عدم التعادل في الشخصية الكامنة فيه.

◈و قد يقول لك: أنا و منذ زواجي بك لم يتحقق ما أريده و لم يومّن حبي و عاطفتي؛ فهلا يأتي شخص ليقول له: من تكون أنت لتتكلم هذا الكلام؟! لقد صادفني كثير من هذه النماذج في جلسات المشاورة التي أعقدها مع الآخرين. أفلا يقول له قائل: زوجتك تستحملك بصعوبة؛ فمن كثرة العقد التي تحملها صار واضحا بأن أباك لم يكن يضفي على أمك المحبة و أن أمّك لم تكن تتواضع لأبيك. و لهذا السبب صرت غير متعادل.

◈خلاصة القول: لابد للولد أن يمتلك تعادلا روحيا و هذا التعادل لا يؤمن إلا من داخل بيت والديه. فهذه الأسرة التي تتكون من أب عطوف على زوجته بحيث لا يقسو عليها بتاتا، و من أم متواضعة قبال زوجها بحيث لا تجرح كرامته أبدا، من شأنها أن يتلقى فيها الولد التربية الصالحة الكاملة. لهذا فهو أنسب و أفضل من غيره للزواج حتى و إن كان من الناحية الايمانية في المستوى الأدنى من الايمان، وكان ما عداه يظهر منه أن إيمانه في مستوى أعلى منه لكنه غير متعادل للأسباب المتقدمة.

◈ غالبا ما يكون الشخص المتعادل منظما ومتطوّرا في سلوكه ورشده المعنوي، بينما من لا يملك التعادل الروحي، فقد يصاب بالتقلبات و التغييرات و قد يظهر منه سلوك غير مأمول. و قد يؤدي عدم تعادله يوما ما إلى ظهور سلوك شاذ و ممارسات بذيئة منه.

(٢٦)

أصول اختيار الزوج

ملاك أفضل فتى وأفضل فتاة

(من هي الفضلى من البنات؟)

◈من هي الأنسب للزواج من غيرها من البنات؟ الجواب هو: أن القاعدة المتقدمة هي الحاكمة هنا أيضا: أي البنت التي نشأت و ترعرعت في بيت يحكم فيه هذان الأصلان الذهبيّان المتقدمان. أي أن الأم تتواضع فيه للأب و لاتجرح كرامته أمام أولادهما ولا يحصل بينهما تخاصم أمام أولادهما، حتى لو

كان بينهما خلاف قد يؤدّي إلى خصام. وأن أباها لا يجرح قلب أمّها. على كل حال؛ فكل فتاة نشأت في بيت لا يجرح فيه أبوها قلب أمها و لا قلبها، فهي متعادلة روحيّا.

◈أما الفتاة التي نشأت في بيت لم تتلقّ فيه أمّها المحبة الكافية من أبيها، و تبعا لذلك تحمل الأم في المقابل الحقد و الضغينة تجاه هذا الأب، فنراها تنزعج ولأبسط اشتباه يصدر منه، و كثيرا ما تسيئ الظن به. حتى نرى بعض البنات لايرغبن بالرجال؛ لماذا؟ لأن الأصل في الرجال في أذهانهن هو أنهم غير صالحين؛ إلا إذا ثبت خلاف ذلك.

◈و سبب هذا التصور هو عدم السلوك الحسن لأبيها في داخل الأسرة أو أن الأم ممن تسيئ سمعة زوجها. فقد لا يكون الأب مقصرا كثيرا بيد أن الأم دائما ما تكون متذمرة من زوجها و تتكلم عنه بكلام سيء أمام أولادها.

◈لقد أثرتُ هذين الأصلين الذهبيين في وسط أساتذة الحوزة العلمية و أساتذة علم النفس الجامعيين و قدمته لتحقيق علمي باعتباره عصارة جميع المسائل التي يجب مراعاتها و تحققها في الأسرة. و طلبت منهم أن يدلوا بدلوهم و يذكروا نتائج أخرى لو كان هناك شيء آخر يستحق الذكر إلى جانب ما ذكرت. وهدفي من هذا الكلام هو أن هذا كلام علمي قد بحثت فيه كثيرا. و سأتناول هذا الموضوع أكثر في أثناء البحث.

◈أنتم يلزمكم أيضا مراعاة هذين الأصلين في حياتكم المستقبلية، أي على الرجل أن يحرص على عدم جرح قلب زوجته، و على المرأة الحرص على أن لا تخدش كرامة زوجها. أما باقي الوصايا والأقوال من «أن على الاثنين أن يتحابوا فيما بينهم و يحترم أحدهما الآخر و يتواضع له و يؤثره على نفسه و أن يكونوا منطقيين فيما بينهم و...» فكل هذه الوصايا صحيحة، لكن العناصر الأساسية في المسألة هي نفس الأصلين المتقدّمين.

(٢٧)

أصول اختيار الزوج

#أهمية التهيئة الروحية قبل الزواج

◈على من ينشأ في أسرة لا تراعي هذين الأصلين أن يهيّئ نفسه و يصلح روحه قبل الخطبة والزواج، فالانسان له القدرة على إصلاح أفكاره السيئة وآثارها التي يتلقاها من الآخرين. فالمرأة والرجل على السواء لهما هذه القدرة.

◈قبل مدة جاءني شاب و قال لي: أريد الزواج من امرأة كانت مبتلاة بمشاكل كثيرة. وبيّن لي هذه المشاكل. فسألته: هل ترى في هذه المرأة الكفاءة اللازمة؟ قال: بعد كل هذه المشاكل التي ذكرتها هل تبقى برأيك كفاءة لازمة للزواج؟ فسألته عن سلوك أبويها داخل البيت و أطلعته على هذين الأصلين الأساسيّين. فقال: إنهما ملتزمين بها في البيت و يراعيانها. فقلت له: إذن لا إشكال في ذلك تزوج بها و إن شاء الله تكون لك زوجة صالحة. فالظاهر أن هذه الاشتباهات التي ذكرتَها لم تنشأ من داخل الأسرة. فاذهب و حاول أن تنقذ هذه المرأة من هذه الاشتباهات؛ و أجرك على الله. قال: هل من جدوى في عملي

هذا؟ ألا أندم عليه؟ قلت: كلّا، اجعل صدرك رحبا وسوف لن تندم لو تعاطيت مع هذه القصة برحابة صدر.

◈و الهدف من هذا الكلام، هو أن بعض الاشتباهات لايمكن السكوت عنها، و البعض الآخر يمكن ذلك.

◈أعرض عليكم نموذجا آخر؛ راجعني شاب يوما للمشاورة و عرض عليّ بعض مشاكله مع زوجته. فعندما ذكر لي بعض خصوصياتها، سألته: ألم تنشأ زوجتك في بيت كانت أمها تهين أباها فيه؟ فأجاب متعجبا: «من أطلعك على هذا؟» ثم ذكر لي بعض النماذج من سلوك أمّها المهين لأبيها. فقلت له: لا تحرص على الزواج معها، لأنه سينجر إلى الطلاق.

◈و هذه أول مرّة أتكلم فيها بهذه الشدة مع شخص، منذ عشرين سنة من تجربتي في المشاورة. ثمّ وبعد ثلاث سنوات حصل ما كنت أتوقعه. فلا يمكن للبنت التي نشأت في بيت تتجاسر فيه أمّها على أبيها أن تتحمل زوجها، حتى لو لم يكن فيها أيّ إشكال آخر.

◈على كل حال، لو نشأ شخص في مثل هذا البيت، يلزمه إعادة بناء روحي، ليهيّئ نفسه لحياة جيدة. و بالطبع، لو كانت زوجة شخص ما تحمل هذه الصفات، عليه مماشاتها، و الحرص على تفادي مشاكلها الروحية.

(٢٨)

أصول اختيار الزوج

لا تعطوا للهوى والجماح دورا في الاختيار

◈الملاحظة الأخرى التي تستحق تسليط الأضواء عليها بجدية عند الاختيار، هي الحرص على عدم تدخل هوى النفس في هذا الاختيار. فلو تدخل الهوى و كان الاختيار غير صائب، سيهبط أجره على تحمل مشاكل الحياة إلى نصف الأجر المرجو. لأن جزء كبيرا منها هو بسبب الأهواء غير الإلهية في مقام الاختيار. لكن، لو تحرر المرء من تدخل الهوى في الاختيار يمكنه التحقق في المسألة بحرية بكل ما في وسعه و طاقته، و لا إشكال في ذلك.

◈و كما أشرنا سابقا، يستطيع المرء أن يفهرس كل خصائص الاختيار المناسب و يجعلها نصب عينيه، لكنه لا محيص من أن يعلم بأن الحصول على مصداق خارجي يحمل كل هذه الصفات أشبه ما يكون بالمستحيل. إذ لا يمكن بسهولة معرفة أن الشخص المختار من قبلك هل يتصف بهذه الصفات المعينة أم لا؟ على كل حال، لابد من وجود الخلافات في الحياة المشتركة، ولا فرار من ذلك، لكن حذار أن تكون هذه الخلافات بسبب تدخل الهوى في مسألة الاختيار.

(٢٩)

أصول اختيار الزوج

أهمية الملاكات الاجتماعية في الاختيار

◈أرجو عدم الاهتمام كثيرا بالملاكات الاجتماعية؛ فقد تقول البنت: أريد زوجا يكون لائقا بي لو مشى معي في الشارع! و هل هو لباسا أو حذاءا أو قبعة ليليق بك أو لا يليق بك؟! و كذلك الرجال نجدهم يتحججون هكذا عند الاختيار؛ لكن ليعلموا أن هذه ليست من الملاكات المهمة التي يجب مراعاتها عند الاختيار.

◈فلا مسألة الملائمة و اللياقة و عدمها و لا مسألة الثقافة و عدمها دليل على السعادة. فقد يكون الرجل أقل ثقافة و دراسة من زوجته؛ بيد أن زوجته تعتبر هذه الصفة ميزة جيدة بالنسبة لها لأنه غالبا ما يوافق أكثر من غيره على استمرار زوجته في الدراسة.

فمهما وضعتم لأنفسكم من ملاكات سيتم زواج أكثركم على خلاف ما تحكم به مخيلتكم. لكن اعلموا بأن الزواج الموفق لا يكون بهذه الأمور.

وقد يكون جمال الزوجة من الملاكات المهمة لبعض الرجال.

◈أولا نقول له: ما هي معايير الجمال بالنسبة لك؟ فكثيرا ما يكون الجمال صورة ذهنية خيالية للشاب. فالشاب يرسم صورة وهمية للجمال في مخيلته و ليس من الضروري أن تنطبق على حاجته و غريزته و رغباته البعيدة المدى؛ بل قد تكون صورة ارتسمت بهذا الشكل طبقا لأدلة مختلفة ثم يتبين بعد الوصول إليها بأن هذه الخصلة لم تكن له مهمة جدا كما كان يتصور. فليس من الضروري أن تكون هذه الخصائص والمعايير التي هي من نسج خيال الشباب صحيحة.

◈الملاحظة الثانية، هي أن الجمال قد يبقى لمدة خلّابا و جذابا ثم بعد مدة يتحول إلى أمر عادي إلى حد ما. فلا يدوم جمال أجمل امرأة لزوجها، و لربما يصبح أمرا مكررا له بعد مدة من الزمن. فنهاية كل إنسان الكبر و العجز و...

◈فعلى المرء أن يكون متحررا وواسع الفكر في أمر الزواج ليكون بوسعه العمل بشكل صحيح. وإلا سيُبتلى بمشاكل عديدة بسبب هذه الملاكات غير الصائبة. فمن الأفضل أن تُخرجوا هذه المعايير غير المهمة من أذهانكم و حاولوا أن يكون زواجكم زواجا متّزنا و معقولا. فلو رأيتم أن الله قد فتح أمامكم مسلكا صحيحا و وضعه في طريقكم و كان الله يريد حصول هذا الشيئ و رأيتموه على وشك الحصول، فاقدموا؛ فليست هذه المعايير ممّا تجعل حياة المرء جميلة و حلوة.

◈على كل حال، لابد من الدقة في قضيّة التناسب و عدمه، وضَعوا المعايير المهمة و الاساسية نصب أعينكم في الزواج لاغير.

(٣٠)

أصول اختيار الزوج

(ذكر الإمام الحسين عليه السلام في أحلى لحظات العمر)

◈تصوروا أبا و أما في عرس ولدهما و عندهم ولد آخر قد فارق الدنيا، فمن الطبيعي نجدهم يضحكون في هذا العرس مرة و يبكون أخرى. فما سبب بكائهم؟ هل يبكون على مصابه؟ يقولون ياليته كان حيا ليتزوج و نرى زواجه و نبتهج به. فبكاؤهم أساسا بسبب محبته التي تملأ قلبيهما، لا بسبب مصاب فقده.

◈فمن الطبيعي جدا، أن يتذكر المرء أحزانه و ذكرياته الجميلة في أفراحه، فالإمام الحسين(ع) هو حزننا الجميل الذي لاننساه أبدا. حاولوا أن تذكروا الإمام الحسين(ع) في أعراسكم و في أحلى لحظات عمركم. فلا تكونوا كعامة الناس الذين يقولون ليس العرس محلا للمصيبة. إذ من الطبيعي أن يتذكر المرء عشقه و حبّه في أفراحه، و الإمام الحسين(ع) هو محط عشقنا وغرامنا واقعا وليس مصيبة وحسب. لكنه عشق يهدر دموعنا.

◈اذكروا الإمام الحسين(ع) في أحلى لحظات حياتكم؛ ولا أعني بهذا الكلام أن نعقد مجلسا مفصلا و نلطم فيه على صدورنا و نبكي و...، بل يكفي من الذكر ما ذكرناه نحن الآن.

◈كنت بجانب الكعبة فقالت لي أمّ: "أنا ايرانية و أسكن في ألمانيا. في الأعراس هناك يبثون الموسيقى المفضلة لدى العروسين. نحن و منذ غادرنا إيران حملنا معنا عدة أشرطة كاسيت لقصائد آهنگران (الرادود الإيراني الذي اشتهر في أيام الدفاع المقدس بقصائده الحماسية). و كلما اشتقنا إلى أجواء ايران نبث أحد هذه الأشرطة. إبني يحب إحدى قصائد آهنگران جدا و يعتبرها الموسيقي المفضلة لديه، لذلك بُث هذا الكاسيت في يوم زفافه. و خلاصة القول لقد حصل في ذلك اليوم مزيج جميل جدا فكلنا كنّا نبكي عند سماعنا لهذا الكاسيت و الباقي يصفق و يضحك."

◈فما عسي أن تكون الموسيقي المفضلة لدى العروس و العريس؟ فكم هو جميل أن يذكر المرء في ذلك اليوم علي الأكبر، أو الحوراء زينب(س). فلو ذكرتم أهل البيت(ع) و أحزانهم الجميلة في قمة أفراحكم و مسرّاتكم، ستزداد اللذة المعنوية لهذا الفرح و السرور. إسمحوا لي أن أنقل لكم كمسك الختام لهذا الجزء من البحث مصيبة من مصائب غريب كربلاء؛ ألا و هي مصيبة الرباب زوجة أبي عبد الله الحسين(ع) ينقل الجميع بأن الرباب كانت تبكي على طفلها الرضيع إلى آخر عمرها الذي لم يطل كثيرا بعد الإمام الحسين(ع) ولكن لا تصدّقوا هذا الكلام. فالرباب كانت زوجة الإمام الحسين(ع) وحبيبته. ويقال بأن الإمام الحسين(ع) كانت له علاقة خاصة بها.

◈ينقل في الرواية بأن موت الرجل أصعب ما يكون على زوجته من غيرها. كانت الرباب(س) إمرأة عارفة و هي أول من توفي كمدا بعد واقعة كربلاء. و من الواضح أن وفاتها كانت بسبب فراق أبي عبد الله الحسين(ع) لكن جرى على ألسنتنا نحن الخطباء بأن الرباب كانت تبكي على طفلها الرضيع. و في تصوري أن الرباب كانت تهزّ مهد الطفل الرضيع الخالي و تبكي دون أن تذكر الإمام الحسين(ع) تأدبا و خجلا من الحوراء زينب(س) فما دامت الحوراء زينب موجودة لم يجرِ ذكر الإمام الحسين(ع) على لسان الرباب. ثقوا بأن الرباب عندما كانت تأخذ مهد الطفل الرضيع بيدها، تقول خفية "حسين" و تبكي على زوجها الحبيب.

❖فمن المستحيل أن يعيش المرء مع الإمام الحسين(ع) ثم يستطيع الاستمرار بالعيش بدونه. فالرباب كانت أول شخص بكت على الإمام الحسين(ع) و بكت حتى ماتت كمدا.

❖نأمل من الله عزوجل أن يتمتع جميع شبابنا بجمال الاختيار الصالح الذي يجرّ إلى تشكيل العائلة الصالحة لتتهيأ أرضية ظهور الإمام الحجة(عج).

(٣١)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

ضرورة الانتباه إلى الفارق بين المرأة والرجل؛ أساس المفتاح الذهبي (١)

❖يجب الانتباه إلى بعض الملاحظات في مجال "العلاقة الزوجية" بصفتها احدى العلاقات بين المرأة والرجل. ولا يخفى أن هذه الملاحظات قائمة في العلاقات الاخرى بين الرجل والمرأة (مثل الرجل وابنته، والأم وابنها و...). فلها أهميتها ويمكن تطبيقها في مجال أي علاقة أخرى بين المرأة والرجل.

❖ينبغي في مجال التعريف الصحيح والدقيق للعلاقة بين المرأة والرجل وآدابها في مقام الزواج أو في مقام تعريف أي علاقة أخرى بين المرأة والرجل؛ من الاهتمام والعناية بالفارق بين المرأة والرجل في العلاقات. فنتيجة هذا الاهتمام، هو الوصول للمفتاح الذهبي الذي ينفع في كل مراحل الحياة. فلو تزوجتَ في ظلّ إجراء هذا المفتاح سيكون زواجك أكثر نجاحا وستنتفع بزواجك هذا أكثر من انتفاع غيرك بزواجه. وستأمّن حاجاتك العاطفية والجنسية في ظلّ هذا الزواج على افضل ما يكون، وستقدّمون أفضل الأولاد للمجتمع فيما لو تمخض هذا الزواج عن أولاد. ولتطبيق هذا المفتاح الذهبي ثمرات ونتائج كثيرة تتبعه.

❖حري بنا القول أولاً، أن الثقافة الغربية - للأسف- قد سعت لطمس هذا المفتاح الذهبي بأي نحو ممكن. ونتيجة هذا السعي المشاكل الكثيرة التي اتحفت المجامع البشرية بها.

❖أما المسلمون فنجد البعض منهم وحتى من العلماء -للأسف- قد يرتاعون من الثقافة الغربية فيحاولون إخفاء هذا المفتاح الذهبي بسبب تأثير هذه الثقافة.

❖صحيح إن المرأة والرجل متساويان من حيث الأهمية، بيد أن لكل منهما حاجاته ولايمكن بذريعة هذه المساواة تجاهل هذا الاختلاف بينهما وإنكاره، مما يؤدي إلى إهمال المفتاح الذهبي.

❖نجد بعض المسلمين - للأسف- ولأجل أن يتباهوا بالإسلام أمام الغرب حسب زعمهم، يقولون أن الإسلام لم يفرق بين المرأة والرجل. فهل تعلمون مانتيجة هذا القول؟ نتيجته عدم إمكان بيان كثير من الأحكام الدينية.

(٣٢)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

ضرورة الانتباه إلى الفارق بين المرأة والرجل؛ أساس المفتاح الذهبي (٢)

◈فنتيجة عدم توفر المفتاح الذهبي، رواج اللادينية في المجتمع، ونشوء أولاد غير صالحين لم يتربوا التربية الصحيحة في عوائلهم، وتفشي نقصان العاطفة بين الناس.

◈عدم وجود هذا المفتاح يؤدي الى عدم تأمين الحاجة العاطفية والجنسية. وعندها لايحصل الرجل على اللذة من زوجته وسيؤول الأمر الى الإباحية والتهتك. والمرأة ايضاً سوف لاتحصل على اللذة من زوجها وستصاب بالكآبة إذا لم يؤول أمرها الى التهتك بسبب حياءها وعفتها.

يذكر أحد متخصصي الأمراض العصبية، إن أكثر النساء يصبن بالامراض العصبية ما بين سن الخامسة والثلاثين إلى الخامسة والأربعين، ويضطررن عندها إلى استعمال أقراص الأعصاب، وذلك لأن المرأة في هذه السن تفقد بعض جمالها وتشعر لهذا بانعدام الطمأنينة والاستقرار؛ وتشعر بأن زوجها لم يعد وفياً لها. فلماذا حصل هذا الأمر؟ لأن المفتاح الذهبي لم يطبق في حياتهم.

◈الزوجان الشابان ومن هم في غضون اختيار الزوج وجلسات التعارف اثناء الخطبة؛ عليهم أن يضعوا هذا المفتاح الذهبي نصب أعينهما.

بطبيعة الحال وكما سبقت الإشارة أن هذا المفتاح ينفع في جميع أنواع وأقسام العلاقات بين المرأة والرجل التي لامجال لتوضيحها هنا.

فمن جهة أن هذا المفتاح الذهبي من العوامل التي تجعل عسل الحياة المشتركة يبقى في مذاق الزوجين ثلاثين سنة بدلاً من ثلاثين يوماً.

◈وهذا العامل يتعلق بجانب السلوك العملي. بعبارة أخرى إن هذا المفتاح يعني وظيفة كل من المرأة والرجل قبال الآخر، ولمراعاته آثار جمة في حياة الإنسان. وذهبية هذا المفتاح بسبب كونه عملياً وأسهل في الوصول للهدف من قاعدة " المثلث الذهبي" وتأمين " النور" في المعيشة اللذين سنلقي عليهما الضوء أكثر في المستقبل؛ ومن جهة أخرى إن لهذا المفتاح ارتباطا وثيقا بالحياة المشتركة.

◈وأستاذ توضيح هذا المفتاح الذهبي، هو نفس الزوجين. فما يتعلق بالزوجة عليها توضيحه للزوج وما يتعلق بالزوج عليه شرحه للزوجة. وذلك لأن الرجال والنساء بطبيعة الحال غير مطلعين على خصوصيات وروحيات الطرف المقابل الخاصة به. فلا الرجل مرأةً ليستطيع أن يفهم مايجري في خاطر زوجته، ولا المرأة رجلاً لتعرف مايجول في خاطر زوجها. لذلك قد يقع الزوجان في اشتباهات جمة بسبب عدم تعرفه على روحية الطرف الآخر.

(٣٣)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

مبدأ المفتاح الذهبي:

ما هو المفتاح الذهبي؟

نحصل على هذا المفتاح من الجواب على سؤالين و هما:

ما هي توقعات المرأة من الرجل؟

ما هي توقعات الرجل من المرأة؟

◈ليس الجواب عن هذين السؤالين واحد؛ فلا يمكن القول بأن الزوجة تتوقع من الرجل أن يحبها و الرجل أيضاَ يتوقع منها نفس الشيء. فلا بد من النظر في هذه المسألة بدقة أكثر.

◈فلو دققنا في فطرتنا أكثر للاحظنا أن المرأة تحب أن تكون موضع محبة الرجل. المحبة التي يطمئن قلبها إليها؛ المحبة التي نتيجتها المداعبة و الملاطفة لاغير. أما الرجل فيجب أن يكون في موقع الطاعة؛ و الطاعة الودّية. وفي هذه الحالة يحظى الزوجان بتعادل و ذلك فيما إذا احتل الرجل منصب الصدارة الحقوقية؛ و احتلت المرأة منصب الصدارة العاطفية. و بعبارة أخرى يجب على المرأة حفظ كرامة الرجل و يجب على الرجل حفظ عاطفة المرأة.

◈فعلى المرأة أن تحذر من أن تجرح كرامة زوجها. وعلى الرجل أن يحذر من أن يجرح قلب زوجته. و يمكن أن نعبر عن هذا الأصل ببيان آخر:

أهم وظيفة للمرأة في قبال الرجل "التواضع"، و أهم وظيفة للرجل في قبال المرأة "المحبة".

(و هذه الكلمات، هي تعابير مختلفة عن المفتاح الذهبي)

◈ هناك شيئان لطيفان و دقيقان و قابلان للكسر كالبلور في الحياة، فلابدّ أن نحرص على أن لا نكسرهما؛ أحدهما كرامة الرجل، و الأخر قلب المرأة. وإنما الله يعلم كم ستصبح الحياة جميلة فيما لو روعي فيها هذا الأصل.

من أهم القضايا التي تجعل الحياة الزوجية سعيدة جدّاً هو مراعاة هذا الأصل. كما أن منشأ كثير من الخصومات و المرارات في المعيشة هو عدم مراعاة هذا الأصل.

◈فلابدّ للأم أن توصي أولادها بإطاعة أبيهم؛ و على الأب أيضا أن يوصي أولاده بالتودّد إلى أمهم. على الأم أن تقول لأولادها: إيّاكم أن تجرحوا كرامة أبيكم. و على الأب أن يقول لأولاده: إياكم ان تجرحوا قلب أمّكم. عندها سيتجلى التوازن في هذه العائلة بأعلى صورة. و سيخرج الأولاد من هذه الأسرة متديّنين و بأعلى صورالإتزان و قمة في الأخلاق و الإبداع، من دون حاجة لتربيتهم على تعليمات دينية خاصة.

قد تكون المرأة أحيانا أشطر من الرجل في إدارة الأسرة، و أكثر قابلية منه في هذا المجال؛ فعندها يجب على المرأة أن تتوقّى الإخلال في رئاسة الرجل الحقوقية. فلو أرادت المرأة أن تحفظ زوجها وتترأس إدارة ما في نفس الوقت، فعليها أن تضع زوجها في موقع القدرة و السلطنة. طبعا لا ينبغي أن نفسّر "السلطنة" بمعنى سلبيّ. فالمراد منها هنا السلطنة المصحوبة بالعاطفة والجمال في البيت. فهذه السلطنة سلطنة عاطفية واعتبارية خاصّة.

(٣٤)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

مبدأ المفتاح الذهبي:

المفتاح الذهبي: السيادة الإدارية للرجل والسيادة العاطفية للمرأة

◈لاتعلم المرأة، كم يستترّ الرجال بتأمين كرامتهم من قبل نسائهم بالتواضع أمامهم، و لايعلم الرجال كم تلتذّ المرأة عندما تشعر بأن زوجها يهتم بقلبها لئلا ينكسر أو ينجرح.

◈بعض الرجال و من أجل أن يحفظ كرامته -حسب زعمه- لا يقول لزوجته "أحبك" وهو لا يعلم أن لامغايرة بين حفظ الكرامة و بين قول "أحبك".

لكن، لتعلم المرأة بأنها عندما لاتحفظ كرامة الرجل، سيتجنب هذه الكلمات لانها -على زعمه- مغايرة للكرامته.

◈و من جانب آخر، إن تواضع المرأة لزوجها لايغاير محبوبيتها حتى تمتنع من التواضع لزوجها. لكن إذا لم يظهر الرجل محبته للمرأة بالشكل المطلوب، عندها لاتظهر المرأة في المقابل تواضعاً له.

◈فإن شعر الرجل بأن زوجته غير مرتاحة و متجهمة، لايسترع بإساءة الظن بها و يعتبرها "سيئة الخلق". بل عليه أن يحسن الظن بها و يقول بأن زوجتي تطلب مني المحبة و المداعبة. فالظاهر إنّي قللت كلمة "أحبك" لها. فعليّ أن أدلّلها قليلاً لتعود حياتنا لحالتها الطبيعية.

◈و إن رأت المرأة بأن زوجها صعب المراس، لاتسيء الظن به و لاتقل: "إن زوجي اصبح سيئ الخلق". بل عليها أن تقول لنفسها: "لعلي لم أحفظ كرامته بالقدر اللازم؛ لابد أن أحفظ كرامته بالحد المطلوب." ثم بعد ذلك تخاطب زوجها و تناديه بكلمات الاحترام و التقدير؛ عند ذلك سينقلب ويعود إلى رحاب المحبة و العاطفة. وبهذه البساطة يمكن تهدئة الرجال و ترويضهم.

◈أنا ألقي اللوم في كثير من الأحيان على عاتق المرأة فيما لو لم تكن حياتهن سعيدة جداً، و أقول لها: "يمكنك بسهولة السيطرة على زوجك بكلامك الجميل و استقبالك الحار له عند عودته الى المنزل، وسترين كم سيكون زوجك محبا لك و ينفذ لك كلّ ما تريدين."

◈يحب على الرجل أن يظهر بمظهر الاقتدار، و تريد المرأة أن تظهر بمظهر المحبوبيّة. قد يسأل البعض، هل أنت من المؤيدين لسيادة الرجل أم المرأة؟

◈فأجيبهم "بأني أؤمن بسيادة الرجل من الناحية الإدارية و سيادة المرأة من الناحية العاطفية." و لكلٍ مكانته الخاصة، و على الطرف المقابل حفظها و رعايتها من أجل أن تتّسم حياتهم المشتركة بالتعادل و السكينة و اللذة، كما يمكن الاستفادة منها أكثر ما يمكن.

(٣٥)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

مبدأ المفتاح الذهبي:

(لا الإطاعة مطلقة ولا المحبة)

◈من الواضح أن الإطاعة و المحبة المذكورة آنفاً، ليست مطلقة. فلم يقل أحد: إن على المرأة أن تحلّ زوجها محل بارئها و تحبه بمقدار الحب المطلوب لله سبحانه. نحن نعلم جميعا أن هذه المحبة ليست مطلقة (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة/١٦٥] يعني يجب تجسيد أعلى صور الحبّ لله عز وجل، وقد أشرنا إلى ذلك إجمالاً عند بيان قاعدة "المثلث الذهبي".

◈ومن جانب آخر إن إطاعة المرأة لزوجها غير مطلقة أيضا. فليس الأمر مثلاً إذا أرادت الزوجة أن تشرب الماء عليها أن تصبر حتى تصدر الموافقة من زوجها، بل إن هذه الإطاعة قابلة للتعريف بإطار معين.

◈فلا المحبة مطلقة و لا الإطاعة. وإنّما يجب مراعاة أصل هذه القاعدة. فعندما تطيع المرأة زوجها يحصل في باطنه ما يسبب اعتدال سلوكه و عندها يضفي على الحياة المشتركة إعتدالاً و طمأنينة. و كذلك عندما يتحبّب الزوج إلى زوجته يحصل في باطنها مايسبب اعتدال سلوكها، و عندها ستعود الحياة المشتركة جميلة سعيدة.

إطاعة من وحي الحب

◈لا يرغب النساء عادة بإطاعة أزواجهنّ لهنّ بشكل مستمرّ. طبعا قد شجّعت رواياتنا الرجال على أن يطيعوا نساءهم أحيانا ومن وحي الحبّ. حتى ورد أن الإمام الباقر(ع) كان يرتدي أحيانا لباسا أحمر على خلاف ذوقه في البيت، تحببا لزوجته؛ «عن مَالِكِ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ع وَ عَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ حَمْرَاءُ جَدِيدَةٌ شَدِيدَةُ الْحُمْرَةِ فَتَبَسَّمْتُ حِينَ دَخَلْتُ فَقَالَ كَأَنِّي أَعْلَمُ لِمَ ضَحِكْتَ ضَحِكْتَ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ الَّذِي هُوَ عَلَيَّ إِنَّ الثَّقَفِيَّةَ أَكْرَهَتْنِي عَلَيْهِ وَ أَنَا أُحِبُّهَا فَأَكْرَهَتْنِي عَلَى لُبْسِهَا» [الكافي/ج٦/ص٤٤٧] فحتى لو كانت رغبتها غير منطقية، ولكن في مواطن الخضوع لرغبتها وإدخال السرور على قلبها لا بأس أن تطيعها.

◈لا شك في أن هذه الرواية، لا تدعونا إلى امتثال جميع أوامر المرأة مهما كانت خطأً، تلبية لما هواه قلبها. كلا! ولكن إذا قالت المرأة: «إني أحب هذه الوردة»، فينبغي للرجل أن يقول لها: «كما تحبين وتأمرين»، لا أن يقول لها: «لا أطيع لك، فلابدّ أن تختاري تلك الوردة بدلا عن هذه، لأني أنا الرئيس!»

◈وحري بالذكر أنه، يحلو للمرأة إطاعة الرجل القويّ المقتدر لها. فلا تلتذّ بشيء أكثر من أن يقول لها زوجها المقتدر «على عيني»، حبّا لها. على أيّ حال فالطبيعة و الفطرة الإنسانية تقتضي،أن تكون

السيادة العاطفية للمرأة والسيادة الإدارية في الأوامر و النواهي و ما شابهها للرجل. و كما بيّنا سابقاً، إن هذا الاختلاف مترتب على الاختلاف بين روحية المرأة والرجل فيما بينهما.

(٣٦)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

مبدأ المفتاح الذهبي:

(ضرورة حفظ السياسة الإدارية للرجل)

◈قد تكون المرأة أكثر إدراكاً من زوجها، وذلك بسبب مستواها الدراسي أو لأنها تتمتع بوعي أكثر. فما هو الحلّ عند هذه الحالة؟ أفهل نفوّض لها موقع اتّخاذ القرار؟

◈على المرأة هنا أن تتحرك بتقمّص دور الوزير الحاذق للملوك في قدم الزمان. فكما نقرأ في القصص القديمة إن بعض الملوك كان لا يتمتع بالقدرة الفائقة على دراسة الوقائع المختلفة، و اتخاذ القرار المناسب لها، لكنه يستعين بوزيره الحكيم الذي ينبّهه و يدلي عليه القرارات سرّاً؛ ثم يطلب من الملك علانيةً أن يفصح عن رأيه علناً ثم يصرّح بعدها: " الأمر، أمر الملك و ليس أمامنا إلاّ السمع و الطاعة." على النساء أيضاً ان يكن هكذا. ليس لهن أن يسعين وراء السلطة الإدراية في البيت، لأنّها مختصة بالرجال و للمرأة السلطنة العاطفية فيه.

◈على أيّ حال، تحصل كثير من المشاكل والخلافات في الحياة المشتركة بسبب عدم معرفة النساء و الرجال للطرف الآخر. فكما أن للرجال خصائصهم ومقتضياتهم الخاصة بهم، التي كثيراً ما تخفى على المرأة. كذلك للمرأة خصائص و مقتضيات خاصة بها، تخفى على الرجل كثيراً ما. و هذا هو السبب في كثير من الالتباسات الواسعة التي تحصل في حياتهم.

◈قد تتصور المرأة أن الرجل مثلها، فتقارن سلوكه بنفسها و تقوم بدراسته على هذا الأساس. وكذلك الرجل يتصور أن المرأة مثله؛ فيقارن سلوكها بنفسه و يقوم بدراستها على هذا الأساس.

◈فعلى سبيل المثال يرى الرجل أن امرأته قد مرّت أمامه بتغنّج، فيقارن هذا السلوك بنفسه و يتصور أن زوجته قد شمخت بأنفها و زعلت عليه. مع أنه ليس كذلك، فكيف تحكم عليها هكذا؟ فيا ترى هل أخلاقها مثل أخلاقك؟ الواقع هو أن المرأة تتدلّل عليك حتى تدلّلها.

◈"شتان ما بين العاشق و المعشوق فكلما تدلّل الحبيب ألحّوا عليه بالطلب" فعلى سبيل المثال، قد يدخل الرجل بيته فيصدّر عدة أوامر لأنه يريد أن يجسّد اقتداره لزوجته ليرضي بذلك حسه السلطوي؛ لكن المرأة سرعان ما تتأذى من هذا التصرف و تتصور أنه أصبح عديم العاطفة و يتأمّر عليها كثيراً. خاطبيه بكلمات الإحترام لتريه كم سيكون طيّعاً ليّناً. يلين الرجل بسرعة على قوته بسماع كلمة "على عيني" من زوجته إذا طلب منها شيئاً.

◈تجدر الإشارة هنا إلى أن النساء تحب أن يتمتع زوجها بالاقتدار الرجولي. و هذا ما تشعر به المرأة بكل وضوح فيما لو راجعت نفسها و قامت بتحليلها بتجرّد و بدون تضبيب للأجواء. فمرّة تحب المرأة أن يكون زوجها قائداً و هي المطيعة لأوامره. و بالطبع تحبه أن يكون قائداً قديراً مع رحابة وسعة

صدر. لا القائد الذي يريد أن يفرّغ عقده النفسية المحمّلة من زمن الطفولة بالأوامر و النواهي على رأس زوجته لأنه لايجد من يفرّغ عليه عقده النفسية غيرها.

الملاحظة الدقيقة هنا إن الرجل القدير الذي تختاره الزوجة بصفته الرجل الذي يمكنها الاعتماد عليه؛ لو تساهل و أبدى محبته لزوجته و استجاب لطلبات قلبها ستتحول هذه اللحظة لزوجته إلى أحلى لحظات عمرها. لا شيء يُشعر المرأة باللذة و يزيد من محبتها لزوجها من كون زوجها يبرز لها المحبة عن مقدرة وقوّة لا عن ضعف.

(٣٧)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

مبدأ المفتاح الذهبي:

المفتاح الذهبي فلسفة الاختلاف الموجود بين أحكام العلاقة بين الرجل والمرأة

عندما نواجه أحكام العلاقة بين الرجل والمرأة، قد يشعر الإنسان في بداية الأمر بنوع من التبعيض بينهما، وقد يكون انطباعه عن هذه الأحكام هو أن الشارع المقدّس قد فرّق بين الرجل والمرأة في مقام وضع الأحكام، ورجّح أحدهما على الآخر. ولكن ليس هذا الانطباع صحيحا. صحيحٌ أن هناك اختلافات بين أحكام الرجل والمرأة، غير أن فلسفة هذا الاختلاف هو الاختلاف الروحي الموجود بينهما، واختلاف توقّعات كلٍّ منهما عن الآخر.

يحاول البعض في عالمنا اليوم أن يغضّ النظر عن هذه الاختلافات فيدّعي بتعسّف أن توقّعات الرجل والمرأة عن الطرف الآخر سواء، ونوعية حبّ كل منهما للطرف الآخر سواء. لقد حذفوا اليوم العلاقة المحكمة بين الزوجين القائمة على المفتاح الذهبي، واستبدلوا بها علاقة واهنة ومحيّرة زائفة.

ومع الأسف حتى في برامج التلفزيون الوطني، لا ينتهي اليومُ ولا نمسي إلا وتُعرض لقطةٌ تهين فيها مرأةٌ رجلا وتكسر نخوته أمام الملايين من الجمهور.

نعم، لا بأس للزوجين أن يتنازعا في قضيّة ما وبشكل خفيف، ولكن لا يجوز أن تنكسر عزّة نفس الرجل. كما لا يجوز أن ينكسر قلب المرأة. إن مَثَل الرجل والمرأة كمثل المشط والشعر. المشط صلب قويّ، والشعر مَرِن لطيف، إلا أنّ بإمكانهما التعامل في أثناء عمليّة التمشيط. أما العلاقات التي تعرض لنا اليوم عبر الإعلام، علاقات مخدوشة ومحيّرة، وتجعل المرأة والرجل في حيرة من أمرهما.

المفتاح الذهبي للعلاقة بين الرجل والمرأة هي أن يعرف الرجل ماذا تريد منه المرأة، وتعرف المراة ماذا يريد منها الرجل. فهذا هو المفتاح الذي يثبّت العلاقة.

(٣٨)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

من وصايا العرفاء: خاطبوا زوجاتكم بأرق الألفاظ

لا يخاطب أهل المعرفة نساءهم بألفاظ أقلّ رقّة من الوردة ولديهم مراقبات شديدة في هذا المجال.

◈كان هناك عارف جليل يوصي تلامذته دائماً باحترام نسائهم ومداراتهم. فكان تلامذته يقولون في أنفسهم: لاجرم إن للشيخ إمرأةً هي على جانب كبير من الصلاح و حسن المعاشرة ولذلك أخذ يوصينا بنسائنا كل هذه الوصايا. لقد قال أمير المؤمنين(ع): " ... فإن المرأة ريحانة و ليست بقهرمانة". [الكافي/ج٥/ص٥١٠] ولايخفى عليكم أن هذه التوصية تختلف كثيراً عن الشفقه؛ فليس المراد من الحديث أن يشفق الرجل على زوجته ويرقّ لها كما يرقّ لحال الضعيف المسكين.

◈على كل حال، اتفق الطلبة أن يزوروا أستاذهم على حين غرّة و قالوا فيما بينهم: لنذهب إليه من غير دعوة، إذ لم يدعنا يوما إلى بيته. ذهبوا يوما إلى بيت أستاذهم و طرقوا الباب، ففتح الأستاذ لهم الباب وتعجب من مجيئهم من دون دعوة مسبقة، ولكن لم يكن أمامه حيلة إلا الإذن لهم بالدخول.

◈فعندما أراد الطلاب الدخول إلى الغرفة بدأت زوجة الأستاذ بالسباب و الشتائم و إطلاق الكلمات البذيئة من خلف الستار؛ إستحى الطلاب و قالوا لقد جئنا في موقع سيّئ، و حاولوا الرجوع من حيث أتوا ولكن منعهم الأستاذ. فسألوا الأستاذ بتعجب شديد عن هذا الوضع وكيف يمكن أن يحصل في بيتك مثله؟ فقال لهم الأستاذ: كل ما عندي من الله سبحانه هو بسبب تحمّلي لهذه المرأة. فهي دائماً و أبداً هكذا.

إن الله سبحانه يمتحن جميع عباده، كلٌ بحسبه. فواحد يمتحنه بالمرض، والآخر بالزوجة السيئة.

◈عندما أراد أن يعطي نموذجا كاملا في القرآن و يقدمه للناس مثلا للذين آمنوا وقدوة صالحة لجميع المؤمنين والمؤمنات ذكر آسية بنت مزاحم زوجة فرعون. لم يكن امتحان آسية الشديد الذي استحقت بنجاحها فيه أن تكون قدوة لكل المؤمنين و المؤمنات إلّا تحمّلها لأسوأ إنسان على وجه الأرض آنذاك و هو فرعون.

◈على كل حال؛ ليخاطب أحدكم زوجته بأرق الألفاظ، وإيّاك أن تجرح مشاعره و تمسّ لطافة روحها بسوء. عليك أن تتعامل معها كريحانة. و بالطبع لامغايرة بين هذا الأمر وبين أن يغار عليها زوجها. فالزوجة تحتاج الى عاطفة زوجها كحاجتها إلى غيرته.

◈أتعلمون بماذا تتكلم المرأة عندما تريد التفاخر على باقي النساء؟ أتعلمون بماذا تتفاخر على أترابها؟ ـ طبعاً لا أحد من النساء يعلم الرجال بهذا الأمر ـ فالنساء إذا أردن التفاخر فيما بينهن، يتكلمن عن غيرة أزواجهن. فمثلاً تقول: إن زوجي ينزعج كثيراً إذا أردت أن أذهب إلى المكان الفلاني وحدي. و باقي النساء يستمعن إليها بحسرة و يقلن في أنفسهن: يالها من سعيدة الحظ! الظاهر إن زوجها يحبها كثيراً. نعم النساء يطلبن العاطفة و الغيرة من أزواجهن معاً. وإلى جانب هذا تعتبر غيرة زوجها دليل حبّه لها.

(٣٩)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

لا نسيء استخدام المفتاح الذهبي:

◈لابدّ لنا من أخذ المفتاح الذهبي أي الانتباه إلى الفوارق الروحية بين المرأة والرجل، بعين الاعتبار، ولكن يجب علينا أن لا نسيئ استخدام هذا المفتاح الذهبي.

◈قد يساء للأسف استغلال الفوارق الروحية بين المرأة والجل في مجتمعاتنا مما يؤدي إلى انتهازية منمّقة جداً. و السيد القائد الإمام الخامنئي حفظه الله ورعاه هو الوحيد الذي اتخذّ موقفاً صريحاً من هذه الانتهازية. و هذه الانتهازية المنمقة هي القول من جهة بأن المرأة لابد أن يكون لها حضور فعّال في المجتمع والعمل خارج المنزل، و من جهة أخرى نرى أكثر النساء يشغلن حرفة السكرتارية في الدوائر العامّة. و عندما يسأل عن سبب كونها سكرتيرة لاغير؟ يجيب رئيس العمل بأن المرأة أكثر إطاعة لأوامره، من الرجل..

◈صحيح أن المرأة بفطرتها تحب أن تكون مطيعة للرجل – طبعاً لا على الإطلاق- لكنكم لماذا تسيؤون استغلال هذه الصفة فيها؟ لماذا كل هذا الخلط؟

◈نسأل الله سبحانه أن تصل مجتمعاتنا إلى مستوى من الرقي حيث تولي المرأة الإحترام اللائق بها، لا أن تعطيها سمة السكرتارية في اكثر الدوائر.

◈لقد صرح يوما السيد القائد ضمن اعتراضه على هذا الوضع المزري قائلاً: لماذا تجعلون المرأة سكرتيرة في دوائركم؟ لماذا لاتمارسون الطباعة أنتم؟ قوموا بهذه الأعمال الخدمية بأنفسكم.

(٤٠)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

المفتاح الذهبي سر تربية الأولاد:

◈لعل البعض الذي يتخوف كثيراً من إنجاب الأطفال خشيةَ أن لا يؤدّي حقهم كاملا، يتعجب لو قلنا له بأن تربية الأطفال أسهل من شربة الماء. قد يكون اختيار الزوج صعبا نوعاً ما. لكنّا بينّا في محله أن كلّ مرء سيتزوج بمن قدّره الله له. لكن تربية الأطفال سهلة جدّاً.

◈ هل ترغبون بأن يكون أولادكم أفضل الأولاد تربية وشخصية؟ ليس هذا بالأمر الشاقّ. لا تتصوروا أن الأمر يحتاج إلى تخصص ما. كما هو واضح إن الحصول على تخصص علمي ما، أمر صعب و شاق، بيد أن التطبيق الصحيح للعلم سهل جداً. فلو أراد امرء أن يصون بدنه من الأمراض، عليه أن يتتخصص في علوم عشرة على الأقل. و هذا غير تطبيق العلم الذي هو أمر يسير للغاية. لذلك يقولون طبّق وصيتين، و تمتع ببدن سالم للأبد؛ « قلة الأكل والرياضة» و مقولة «إن الوقاية أسهل من العلاج» تشير إلى هذا المعنى.

◈و هذا الأمر جارٍ أيضا في مجال تربية الأولاد. فلو حصلت في عائلة ما مشكلة معينة في تربية أولادهم، من الممكن أن لايقدر على حلّها عدة من المتخصصين، لكن هناك طريقان سهلان للوقوف أمام المشاكل، يشكلان معاً هذا الأصل الذهبي الذي يجعل أولادكم مجدّين في دروسهم ومتديّنين ومبتهجين وموفقين.

◈إطمئنوا أنكم بتطبيقكم لهذا الأصل ستجعلون أولادكم ينفرون من الذنوب ولايمكن أن يسعوا وراء الخلاعة على الإطلاق.

◈سرّ تربية الأولاد هو أن يلمسوا بأنفسهم العلاقة بين أبويهم القائمة على الاحترام والمحبة؛ بحيث تسعى الأم لأن لا تجرح كرامة زوجها ويسعى الأب لأن لا يجرح عاطفة زوجته. عندها سيصل الأولاد الى قمة الاتزان، و لا يحتاجون عندئذٍ الى المزيد من عمليّات التربية، و لا إلى تعليم خاص للتخلق و الالتزام بالمعارف الدينية ولقوّة إرادتهم.

◈كما ينبغي للأم أن تأمر أولادها بإطاعة والدهم، وللأب أن يأمر أولاده بالتحبّب إلى أمّهم.

فهذا الأصل في الواقع هو الوجهة الأخرى لعملة المفتاح الذهبي. وبالإضافة إلى التعبير باللسان يجب على الأب أن يظهر المحبة للأم أمام أولادها.

◈راجعوا سيرة الإمام الخميني(ره) لتروا مدى تطبيقه لهذا المفتاح الذهبي في البيت. كان الإمام ذات يوم جالساً مع عائلته على مائدة الطعام، فبعد أن أكمل الجميع طعامهم قامت الزوجة لجمع الصحون من المائدة ووضعها في المطبخ. فانبرى عندئذ الإمام لبناته قائلاً: «أنتم جالسات وأمكم قامت للمّ الصحون وجمعها؟!» أ تعلمون مدى تأثير هذا السلوك على معنويات الأولاد؟ سيقول الأولاد في أنفسهم: ياله من أب! كم يحبّ أمّنا... سيكون أثر هذا السلوك على روحيّتهم عالياً جداً ولا يمكن بعدها أن يقدموا على أي عمل ينافي العفة.

(٤١)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

المفتاح الذهبي سر تربية الأولاد:

أي فتاة يمكنها أن تصون المجتمع من السقوط في مزالق الفساد؟

◈ومما يجدر ذكره الآن بهذه المناسبة هو أنه إن لم يتمتعن الفتيات قبل الزواج بالقدرة على إدارة العلاقة بين المرأة و الرجل في المجتمع، سيعمّ الفساد المجتمع.

◈لأن الرجل في هذا المجال أضعف من المرأة. فإذا أراد الرجال أن يقيموا العلاقة مع الجنس المخالف يتحرّشون منذ البداية، فالمرأة هي التي يجب أن تقف أمامه وتجيبه بالرفض حتي تحول بين انتشار الفساد.

◈أي فتاة يمكنها أن ترفض إظهار محبة الرجال لها و لا تستسلم أمامهم؟ هي الفتاة التي اشبعت في بيتها من محبة أبيها «المقتدر» و «المطاع» و «القائد». الفتاة المدلّلة من قبل أبيها القوي المقتدر بكلمات الحبّ والمودّة مثل «بنيّتي وعزيزتي وزهرتي». فمثل هذه الفتاة حتى لو عبّر لها مئة رجل غريب عن حبهم، لاتعتني بهم. لأنها ليست متعطشة للحب إذ قد ذاقت طعم محبة أبيها الذي هو أب بمعنى الكلمة. أي الأب الذي يظهر محبته لها في حال اقتداره و قوّته. وقد عاشت في بيت ترى فيه أمّها – التي هي مثلها – محبوبة أبيها. هذه هي مثال البنت المتّزنة.

الأولاد الذين لن ينساقوا إلى المجون:

◈فالولد الذي يترعرع في ظل الأسرة التي تطبق المفتاح الذهبي في حياتها لن يسعى وراء التهتك و الفحشاء. لأنه قد اتضح لديه أن المرأة موجود لابد من إشباعها بالمحبة، لا أنها ألة مُجون الرجل. قد

اتضح لديه أن عليه أن يختار من يمكنه أن يظهر لها المحبة إلى آخر عمره. المرأة زهرة وعليه أن يرويها بنغمات الحبّ إلى آخر عمره.

◈ هذا هو مفهوم المرأة عنده. لأنه ترعرع في بيت كانت أمّه محبوبة أبيه فيه وقد لمس منه كيف يمكن أن تشبع المرأة بالعاطفة بغض النظر عن جنسها. في مثل هذا الولد أيضا سيكون في كامل الإتّزان.

◈لو راعى الأب و الأم هذا الأصل في حياتهم المعيشيّة وأظهراه بشكل جليّ أمام اولادهما، سينشؤون والالتزام بالصلاة عندهم أمر سهل للغاية، و الالتزام بالحجاب كذلك. و يمكنهم أن ينضمّوا في سلك محبي و مريدي الإمام الحجة(عج) وغيرها من الأهداف السامية بكل بساطة. هذا هو المفتاح الذهبي، الذي يتيح للوالدين تربية اولادهم بسهولة فائقة.

(٤٢)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

المفتاح الذهبي سر تربية الأولاد:

سر التربية يتلخص في مراعاة كرامة الولد ومراعاة مشاعر البنت:

◈نلقي مرة أخرى نظرة خاطفة على الثمرة العملية للمفتاح الذهبي في التربية. و خلاصته هو: ينبغي أن تحفظ كرامة الأب و الابن، ولايحق لأي أمّ أن تفيض على ولدها محبة أكثر من اللزوم بحيث تخدش كرامته. فلاينبغي أن يتجاوز حبّها كرامته. ولايحق لأي أب أن يجرح قلب ابنته ومشاعرها.

◈فقد أوصى نبي الإسلام (ص) الآباء بأن يشبعوا بناتهم بالعاطفة. فلو كانت بيد الأب فاكهة و أراد أن يعطيها لأحد أولاده، عليه أن يعطيها للبنت بدون أي تأنٍ من دون النظر إلى من هو أكبرهم سناً أو أحلاهم سلوكا أو ألصقهم بالفؤاد إلى غير ذلك من المرجحّات؛ فهذه هي وصية النبي الأكرم(ص).

لماذا أوصانا النبي محمد(ص) بأن نتحبّب إلى بناتنا أكثر من أولادنا؟ ماذا تعني هذه الوصية؟ يعني أن المرأة تعوزها العاطفة، فما تطلبه المرأة من الغير هو المحبة.

(٤٣)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

فائدة المفتاح الذهبي في نيل الحد الأقصى من ثمار الحياة

الحد الأقصى والحد الأدنى من ثمار الحياة ١

◈مما يجب أن نجعله نصب أعيننا دائما هو أنه لابدّ أن يكون انتفاعنا بالحياة المشتركة بمستوى عالٍ جدّا. إن مدى الانتفاع من الحياة المشتركة يتراوح بين الحدّ الأدنى والحدّ الأقصى منه. أمّا نحن فيجب أن نسعى لتحقيق الحدّ الأقصى من كفاءة الحياة. إذ بتحقّق الحدّ الأقصى من الكفاءة سيرشد الناس جميعا. إن الطالب الذي يحظى بحياة مشتركة تتّصف بالحدّ الأقصى من الكفاءة، يصبح عالما. والمدير الذي يعيش حياة كهذه سرعان ما يرتقي إلى مستوى المدير العام. فإن المواهب والقابليات ستزدهر في ظل هذه الحياة، وسيرتقي فيها كلّ امرء أيّما كان موقعه إلى موقع أفضل.

❖إن كثيرا من حالات الضعف التي يعاني منها الرجال في المجتمع، وكثيرا من المشاكل التي تساور النساء في حياتهم الفردية والاجتماعية، ناجمة عمّا تعاني منه حياتهم الأسرية من أنها لم تبلغ الذروة في الكفاءة.

يزعم غير قليل من الآباء والأمهات أن مجرّد براءة حياتهم من النزاع والخصام ونجاحهم في حسن تربية أطفالهم إلى حدّ ما لآيةٌ على أن أسَرَهم من الأسر الناجحة. غير أني لا أظن أننا نستطيع بسهولة أن نعثر في مجتمعنا هذا على أسرة ناجحة. إنما الأسرة الناجحة هي ما كانت تجني الحدّ الأقصى من الثمار من حياتها الأسرية. ولا يخفى أن أوج الاستثمار هذا، لا يحصل ببساطة بل بحاجة إلى برمجة وتخطيط.

❖نحن في إيران ـ وللأسف ـ لا نجني من حياتنا المشتركة ما ينبغي أن نجنيه. أما في الخارج فهم أسوأ حالا منّا بكثير، فقد اكتفوا بالحدّ الأدنى من الاستثمار، حتى نستطيع أن نشاهد تداعيات هذه الظاهرة بسهولة. فما أكثر البلدان الغربيّة التي قد نزّل أبناؤها الزواجَ منزلةَ لعب الصبيان.

❖لا يمكن حصاد الحد الأقصى من ثمار الحياة ببساطة. وأساسا لا تنجز الاستثمارات ذات العمق والمدى البعيد من دون تغيير وتحوّل. فيا ترى كيف يتم استخراج النفط؟ وكيف يصنع الأسمنت؟ وكيف يجعلون اليورانيوم طاقة هائلة؟ وكم من أجهزة الطرد المركزي يجب أن تُجمَع معا ليتخذوا منها الطاقة النوويّة؟ ولكننا نريد أن نبلغ الحد الأقصى من الكفاءة والانتفاع بدون أي برمجة لروحنا ولا أي تجّشم عناء. ناهيك عمّن هم غافلون أساسا عن قابلية الحياة في استثمارها بحدّ أقصى ومدى بعيد.

❖يقول الله سبحانه: (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ في‏ ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)(الروم/٢١) وما هي آيات الله؟ لقد قال أميرالمؤمنين(ع): «أَنَا الْآيَةُ الْعُظْمَى» (بحارالأنوار/٣٣٦/٥٤) وإن من آياته الكعبة ومن آياته آيات القرآن ومنها خلق السماوات والأرض. فإلى جانب كل هذه الآيات العظيمة، ذكر الله العلاقة الزوجية كآية من آياته. فإن دلّ ذلك على شيء فهو دالّ على عظمة هذه العلاقة. فليت شعري هل قد استوقفكم هذا الجانب العظيم من الحياة الزوجية؟ وهل تعلمون أن هذه العلاقة العظيمة كم هي أرض خصبة لجني ثمار قاصية الحدّ بعيدة المدى.

(٤٤)

الحياة الراقية (المفتاح الذهبي للسعادة)

فائدة المفتاح الذهبي في نيل الحد الأقصى من ثمار الحياة

الحد الأقصى والحد الأدنى من ثمار الحياة ٢

❖أرأينا لماذا تَلقى أفلامُ الغرام من المتابعين والمشاهدين ما لا تلقاه باقي الأفلام إلّا ما شذّ وندر؟! ومن أين شدّة اهتمام الناس إلى العلاقة بين المرأة والرجل؟ ولماذا كلما أريد لقصة أن تلقى جمهورا ومتابعين تُقحَم فيها قصة زواج أو طلاق؟! إذ قد انطوى في العلاقة بين المرأة والرجل سرّ عظيم. ولكن لا تُستَثمر هذه القابليةُ العالية إلا بالحدّ الأدنى. ولا يُصوَّر في الأفلام والمسلسلات إلا هذا الحدّ الأدنى من آثار هذه العلاقة وثمارها.

كما مرّ آنفا وإن كانت الحياة ذات قابليّة عالية للاستثمار، غير أن الوصول إلى ذروة الانتفاع منها إنجاز غير هيّن وليس بغنى عن البرمجة والتخطيط، ولا يمكن تحقيقه بين ليلة وضحاها. ولكن فيما إن قُصد هذا الهدف عبر برمجة وتنفيذ صائبين، ستحظى علاقة الزوجين بعد ثلاثين عاما بحلاوة تضاهي آلاف أضعاف حلاوة علاقتهما أيامَ شهر العسل.

◈الحياة الطيبة للطيبين. والحياة الطيبة هي ما كانت بعد مضي ثلاثين عاما أعذب وألصق بالفؤاد منها في شهر العسل. لا يجوز لأحدكم أن يحيى حياة لا حلاوة فيها حتى إذا وقع نظر زوجك على سيارة عروس تنظر إليها بحسرة وتقول: «يا لها من أيامٍ حلوة مضت». بل يجب أن يخامرها شعور الاغتباط بازدياد حياتها حلاوة ونضرة بعد مضيّ عشر سنين. يجب أن تقول في نفسها: «كم كنا صبيةً يومذاك فلم نكن نعرف التمتع بالحياة المشتركة». فلابدّ للحياة أن تزداد حلاوة يوما بعد يوم.

◈إن ما ترونه في الأفلام السينمائية من أنّها كلما أرادت أن تصوّر مباهج الحياة سلطت الأضواء على مطلع العلاقة بين الفتى والفتاة فهو بسبب انحطاط مستوى الدرك الإنساني و الحس الجمالي لدى المخرجين والكتّاب. فلا يكادون أن يتصوّروا إمكان ازدياد حلاوة حياة زوجين بعد طَوْي عشر سنين أو عشرين من صفحات حياتهما. كيف وأنهم لم يعيشوا هذه الحقيقة حتى يجسّدوها عبر رواية.

(٤٥)

أرأيتم الفتاة كيف تتدلّل لأبيها؟ فعلى المرأة أن تتدلّل مثلها لزوجها أحيانا. فإنه لسلوك يعجب الرجال.

ومن جانب آخر يجب عليها أحيانا أن تكون كالأمّ لزوجها.

للمرأة قبال الرجل دوران: دور الأم ودور البنت!

◈يجب تارة للمرأة أن تكون كالأم لزوجها وأخرى أن تكون كالبنت. أرأيتم الفتاة كيف تتدلّل لأبيها؟ فعلى المرأة أن تتدلّل مثلها لزوجها أحيانا. فإنه لسلوك يعجب الرجال. ومن جانب آخر يجب عليها أحيانا أن تكون كالأمّ لزوجها. فأولئك النساء الجديرات بكلا السلوكين واللاتي يعرفن مواطن كلّ واحد منهما، ناجحات في التبعّل.

◈طبعا إن هذه الأدوار هي جزء من طبيعة المرأة، وكل امرأة حتى وإن لم تلتفت إلى هذين الدورين بالتفصيل، تودّ أن يكون لها حظ من كليهما قبال بعلها.

◈تودّ المرأة أحيانا أن تدلّل زوجها الذي هو أكبر منها سنّا في الغالب وتلاطفه كما تفعل الأمّ لِطفلها. وكثير من الفتيات اللاتي فتحن باب العلاقة مع فتى، إنما صادقنه رحمة به وشفقة عليه؛ فكان يخامرهنّ شعور الحاجة إلى الحَدَب على صاحبهنّ أكثر من الظمأ إلى عطفه وحنانه. فكان بَدء علاقة إحداهنّ بفتى غريب هو أن جاءها ظمئا إلى حنانها مستعطفا إياها ففارت مشاعر الأمومة في قلبها فصادقته. أعني أن في بعض الأحيان يخامر النساءَ شعور تجاه الرجال هو أشبه شيء بشعور الأمّ المدلِّلة طفلَها.

◈جاءني ذات مرّة فتى وفتاة للاستشارة في شأنهما حيث كانا قد عزما على الزواج إلا أن أسرتيهما رافضتان. قال لي الولد: إن الفتاة التي اخترتُها أكبر مني بسنتين. فقلت له: أوَما عليك بأس من هذا الأمر؟ فقال: لا. بعد أن تحدّثت معه قليلا وتعرّفت على بعض أحواله قلت له: ألم تترعرع في بيت قلّما تعطف فيه أمك عليك؟ أوليس هناك نزاعات بين والديك في البيت؟

◈قال: بلى! وحتى قد رأيت بينهما عراكات عنيفة. فقلت له: أتدري أنك قد استحسنت هذه الفتاة لكي تقوم لك مقام الأمّ؟ وما إن تحدثت بهذا الكلام، انفتحت الفتاة وكأنها وجدت بعد حين من يصرّح بحديث نفسها، ثمّ بدا أنها كانت تعرف ما يجري في داخل خطيبها من شعور ومعاناة وكانت تتألم لاضطرابه وقلقه. ثم عُقِد الزواج بينهما في نهاية الأمر، ولكني قلت للفتى: إياك أن يصبو قلبك غدا إلى فتاة تجيد دور البنت أيضا؟ فهي أكبر منك بسنتين ولعلها لا تحسن ذلك جيّدا.

◈وتودّ المرأة تارة أن تنزل منزل البنت لبعلها وتجعله في مقام الأب الذي يعطف على بنته ويتودّد إليها. تودّ أن تتدلّل له كما تتدلل البنت لأبيها بإلحاحاتها وتحججاتها وطلباتها وصراحتها في استحسان ألوان البضائع وأشكالها وتفضيل بعضها على بعض. ولا يخفَ أن الرجل لينتشي بهذه الأفعال، إلّا أن يكون ضيّق الفؤاد غيرَ ذي صدر رَحِب فيُنكرَ عليها دلالها. وهو أحقّ باللوم والتنديد إذ أن دور البنت المدلَّلة، يتّفق وطبيعتَه الرجوليّة، فهو في الواقع ينكر عليها ما عملت وفق حاجته إلى تقمّص زوجه دورَ البنت الصغيرة في بعض الأحيان.

(٤٦)

إحدى المشاكل المشهورة في هذه العلاقات هي ما تقع بين الكنة والحماة، وقد ابتلي بها من العوائل غير قليل..

وتجد الأمهات يحسدن بناتهنّ أحيانا! متى يقع ذلك؟...

المشكلة الأخرى تحصل لدى النساء اللاتي هنّ إلى صفات الأمومة أقرب منهنّ إلى صفات البنات، فلا يقدرن على أداء دور البنت الصغيرة لأزواجهنّ.

للمرأة قبال الرجل دوران: دور الأم ودور البنت؟

◈وحري بالإشارة هنا إلى بعض المشاكل الناشئة من عدم التمعّن في هذه الأدوار. وبعبارة أخرى إن دراسة هذه الأدوار والتمعّن فيها تدلّنا على جذور المشاكل الأسرية. إحدى المشاكل المشهورة في هذه العلاقات هي ما تقع بين الكنة والحماة، وقد ابتلي بها من العوائل غير قليل. ترى أحيانا بعض الحَمَوات يؤذين كنّاتهن. والسبب في ذلك هو أن الحماة ترى كنّتها تحسن دور الأمّ لزوجها أحيانا على أنها أصغر منها بكثير. فتشعر من حيث لا تشعر بأن كنتها تريد أن تسحب البساط من تحتها وتسلبها ولدها. فتنشأ الخلافات بين الحماة والكنّة ما قد يؤدي إلى نزاع وخصام. إذ تقول الحماة في نفسها: لقد كدتُ وتعبتُ من أجل ولدي عمرا طويلا، وإذا هذه الفتاة تتقمص دوري بإتقان وحذاقة. فهي كادت أن تسلبني ولدي.

◈ هنا يجب إرشاد أمثال هؤلاء الأمّهات وتفهيمهنّ بأنكنّ غير قادرات على أداء دور الأمّ لأولادكن دائما. وهناك قضايا أخرى ندعها فلا يمكن طرحها.

◈وتجد الأمهات يحسدن بناتهنّ أحيانا! متى يقع ذلك؟ حينما يرَين بناتهنّ يتدلّلن على أبيهنّ كثيرا. فهنا تثار حفيظتهن وينكرن على بناتهنّ. وحقيقة الأمر هي الفتاة لا تبتغي من غُنجها ودلالها على أبيها إلا أن تستعطفه وتزداد حظا من محبته. غير أن الأمهات لا يحتملن ذلك أحيانا فيعترضن. وليس سبب هذا الاعتراض إلّا عدم الانتباه إلى حاجة الفتاة الطبيعية. فإنها لم تقم إلا بأحد أدوارها.

فلابدّ من إرشاد هؤلاء الأمّهات أيضا وأن يقال لكل منهنّ: دعي فتاتك تلعب هذا الدور كما تشاء، واطمئني بأنها لن تحتلّ موقعك من زوجك أبدا.

◈المشكلة الأخرى تحصل لدى النساء اللاتي هنّ إلى صفات الأمومة أقرب منهنّ إلى صفات البنات، فلا يقدرن على أداء دور البنت الصغيرة لأزواجهنّ. بينما يودّ الرجل بين حين وأخرى أن تلجأ إليه المرأة ليكون ملاذها وحماها. فإنّ عجز المرأة في أداء هذا الدور يدفع بالرجل إلى شفا حفرة من الفتنة إن جاءته امرأة خارج البيت واستعانت به لشأن من شؤونها بغُنج ودلال. فإن لامه لائم وقال له مستغربا: لمَ انخدعت وأنت متزوّج؟ قال: إن زوجي في البيت كالأسكندر المقدوني في صلابتها وشدّتها! فلا تقوم لي في البيت مقام البنت الصغيرة، ولذلك ما إن جاءتني تلك المرأة في الشارع وقد تقمصت لي هذا الدور، خطفت قلبي.